

سلسلة المعارف الإسلامية

٣٤



الإمام محمد الجواد عليه السلام

سيرة وتاريخ..

تحظى إصدارات المركز
بالمتابعة والتقويم والإشراف العلمي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المركز

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين..

وبعد.. فإننا مع الإمام الجواد عليه السلام سنعيش لأول مرة ظاهرة مثيرة بحق ، تستوقف النظر وتستحث العقول ، ألا وهي الإمامة المبكرة ، الظاهرة التي نصادفها لأول مرة في تاريخ أهل البيت عليهم السلام ، فابن الثامنة من العمر يتولى هنا إمامة المسلمين بكل ما يتعلق بها من مسؤوليات ومهام ، وما تتطلبه من علم كامل بالشرعية وأحكامها ، ومن الصعب بل المتعذر أن يدعى كل هذا لمن هو في هذه السن ، إلا أن يكون محاطاً بعناية إلهية خاصة وقد اصطنعه الله تعالى لهذه المهمة ، وأعد لها الإعداد التام من قبل.

وهذا ما ينقلنا على الفور إلى استدعاء البعد المميز لشأن المصطفين ودور الاصطفاء في إحداث النقلة النوعية في الذات الإنسانية ، الأمر الذي يجعل مقارنة المختص بهذا الاصطفاء مع غيره من سائر الناس حتى أصحاب المواهب الخاصة مقارنة فاقدة لموضوعها ، غير مبررة بحال... وهذا ما يجعل ظاهرة كهذه أمراً طبيعياً ، في دائرة الإمكان ، وبلا غرابة ، وهذا ما ينقلنا مرة أخرى إلى النماذج الأسبق في هذه الدائرة ، والذي باصطحابه ستكون الظاهرة التي اقترنت بالإمام الجواد عليه السلام إنما هي أ نموذجاً مكرراً لظاهرة أسبق تاريخياً ، بكثير ، ففي دائرة الاصطفاء قد سبقت النبوة ليعسى ابن مريم في السابعة من عمره بعد أن تكلم بها في مهده ، ثم سبقت بكل مهماتها ولوازمها لصبي ما يزال في بواكير صباه ، ذلك يحيى بن زكريا عليه السلام : ﴿وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.. فلسنا إذن مع أمر ممكن الوقوع فحسب ، بل مع أ نموذج مكرر لواقع محقق ، وضمن الدائرة ذاتها ، دائرة الاصطفاء..

ثم بعد ذلك فإنَّ المتقلّد لهذه المهمة سوف يعيش بين الناس عالمهم وجاهلهم ، فليس من الصعب إذن التحقق من صحّة هذا التقليد والتقدم ، وهذا ما وقع مبكراً مع الإمام الجواد عليه السلام من قبل من استنكر شأنه ، وفي مجلس عقده المأمون وشحنه بأهل العلم ممن هم حوله أذعن قاضي قضااته يحيى بن أكثم بأنَّ ابن الثامنة ، الجواد بن الرضا عليه السلام ، إن هو إلّا إمام معلّم ، وليس هو بفتى ملهم وحسب.. ثم عاش الإمام الجواد عليه السلام تجربته كلها ومن حوله علماء فحول ، من أصحاب القرآن والحديث والكلام ، في عصر ازدهرت فيه العلوم وقعدت قواعدها ، وأسست أصولها ، فلم يرَ منه أصحابه أو خصومه دون ما كانوا يرون من آباءه العظام من علم وحلم وحكمة ، وتلك تجربة أمة امتدت به سبع عشرة سنة ، حتى وفاته عليه السلام ، وليس هناك في التاريخ قضية هي أثبتت من تجربة أمة.. فكيف إذا كانت تجربة في عصر عصيب ، يطارد الحكام أصحابها ، ومن قبل قتلوا جدّه الكاظم عليه السلام سجيناً ، ثم اغتالوا أباه الرضا عليه السلام ، ثم هم من حوله يتربصون به وبأصحابه؟! إن هذا لمن أهم ما يثبت عظمة تلك التجربة وعظمة رائدها الذي لو وجد فيه خصومه السياسيون وهم الحاكمون ، والدينيون وهم متوافرون ، من مغمز لما توانوا في نشره ، بل لطربوا له ولنسجوا من حوله الحكايات والأساطير..

وفي صفحات إصدارنا هذا سنعيش مع هذه الظاهرة ، وفي رحاب رائدها الأول في تاريخ أهل البيت عليهم السلام ، والثالث في دائرة الاضطفاء ، مؤدّين بعض الحق لهذا الإمام العظيم ، مستلهمين المزيد من الدروس والعبر.. وكم هو جميل أن يتزامن إصدارنا هذا مع مرور ألف ومئتي عام على وفاته سلام الله عليه يوم ولد ويوم مات ويوم بيعث حياً.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسول الأمين وآل بيته الطيبين الطاهرين المنتجبين ، وصحبه الهداة المهديين .

فقد درجت الأمم والشعوب منذ عهدنا بالتدوين على تخليد قادتها ورجالها ، عرفاناً منها لما أسدوه لها من خدمات جليلة ، وبما زانوا مجدها وتأريخها بكل طارف وتليد . ونحن كأمة إسلامية لنا أعظم دين ، وأغنى تراث ، وأرقى حضارة ، ما كنا بدعاً من الأمم والحضارات في تخليد عظمائنا ورجالنا الذين شادوا مجد هذه الأمة ، وبنوا صرحها الشامخ . بل ، نحن أحق من غيرنا بذلك للعديد من الاعتبارات ..

وربّ تساؤل يقفز إلى ساحة الذهن ، بأنهم كثر أولئك الذين كان لهم دور في عملية صياغة التاريخ ، وصناعة المجد ، وبناء الحضارة .. فمن من أولئك حقيق بالتخليد والذكر الجميل ؟ ثم ، كيف نُحيي تراثهم ، ونُعيد تأريخهم ؟ ولماذا .. ؟

وطبيعي أن يأتي الجواب بأن أي دراسة يجب أن تتناول النخبة الصالحة الرشيدة التي بذلت كل ما في وسعها من أجل أن تحيا هذه الأمة على مبادئ رسالتها الخالدة ، وأن تشمل تلك الدراسة على تاريخ حياة أولئك الأعلام المضحين ، ومناهجهم في عملية البناء والتغيير ، وجهادهم وجهودهم المضنية في هذا المجال ، كما ينبغي تناول سيرتهم العملية وأقوالهم بالدرس والتحليل .

وأما الغرض من تدارس أحوال ومواقف أولئك العظام ؛ فهو لاستلهاهم

مناهجهم في الحياة ، وفي البناء الحضاري ، وللاستنارة من فيض علومهم ومعارفهم الخائفة ، وإسهاماتهم في تبين معالم الدين ، وتوضيح أصول الشريعة.. أضف إلى ذلك مكافحتهم للجهل ، ومقارعة الظلم والظالمين ، ونشر العدل ، وإحقاق الحق.. بل ، واتخاذهم منارات يُسترشد بهديهم لجميع الأجيال البشرية على رُغم تعاقبها مرّ الدهور.

ولا ريب بأن الأحقق بهذا التدارس والتعظيم ، هو شخص النبوة الكريم ، أشرف موجود ، وسيد الكائنات وأقدسها. وهل أحد أحق من بعده غير أهل بيته المطهرين الذين أذهب الله عنهم الرجس ، واختارهم قادة رساليين يُقتدى بهم ؟ حتى صار دورهم ملموساً ومتميزاً في بناء الإنسان وصيانتته وحفظ المجتمع وكيانه. ومن هنا أصبح تسليط الضوء على حياتهم المشرقة بالعطاء — بعد احتلاط الأوراق — وفاءً لرسالة الإسلام الخالدة باعتبارهم عليهم السلام قادهما الأمانة الحقيقيين.

فالأئمة المعصومون الاثنا عشر من أهل البيت عليهم السلام الذين نصّ عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عدة أحاديث صحاح ، هم محور الحياة الذي تدور عليه كلّ مكرمة وفضيلة ، فقد جعلهم الله حياة للأنام ، ومصايح الظلام ، ومفاتيح الكلام ، ودعائم للإسلام.. ووصفهم أمير البيان عليه السلام بقوله : « هم الذين يجبركم حكمهم عن علمهم ، وصمتهم عن منطقتهم ، وظاهرهم عن باطنهم. لا يخالفون الدين ولا يختلفون فيه ، فهو بينهم شاهد صادق ».

فدراسة حياة الأئمة الميامين عليهم السلام يجب أن تنطلق من تلك الحقائق المهمة ، وينبغي التركيز على المنهج الأصيل والدور الحقيقي والواقعي لهم عليهم السلام باعتبارهم وحدة متكاملة لا فرق بين القوائم منهم بالسيف أو المتصدي بالدعاء أو الناشر للعلم أو غيرها من مناهج العمل والتغيير للوصول إلى الهدف المشترك للجميع. فهم عليهم السلام رغم تنوع أدوارهم ، وفق

٩
 طبيعة المرحلة والظروف السياسية المحيطة بهم ، يحملون هدفاً مشتركاً واحداً لا يختلفون فيه ، ذلك هو حفظ الكتاب الكريم وسُنّة الرسول المصطفى ﷺ ، وطلب الإصلاح والهداية ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ونحن على أعتاب مرور اثني عشر قرناً (١٢٠٠ عام) على شهادة الإمام الجواد عليه السلام ، فالأمل يحدونا أن نستطيع هذه الدراسة الموجزة من سيرة تاسع أئمة أهل البيت عليه السلام إلقاء بعض الضوء على الدور الفاعل والكبير لتحرك الإمام أبي جعفر الثاني الجواد عليه السلام في الأمة ، من خلال جسّ مواقع حركته التغييرية والإصلاحية في الزمن القصير الذي عاشه.

ويمكن تلمّس تحرك الإمام عليه السلام ، واستشفاف الحقائق الناصعة في أدوار حياته عبر الفصول الأربعة التي اشتملتها هذه الدراسة.

فمروراً بالتعريف بظروف مولد الإمام عليه السلام ، إلى التعريف بشخصه المبارك وبعض سماته ، ثم النصوص الدالّة على إمامته ، وأخيراً كان لنا بحث مقتضب حول مسألة العمر ومنصب الإمامة ، كل ذلك تضمّنه الفصل الأول.

أما الفصل الثاني : فقد عرض للمرحلة التالية من حياة الإمام الجواد عليه السلام خاصة بعد شهادة أبيه ، وما رافق ذلك من إرهابات انعكست مباشرة على حياة الإمام. فكان لا بدّ من استبيان الظروف والأحداث السياسية خلال هذه الفترة الزمنية من عمر الإمام ، خاصة ما كان من مقولة خلق القرآن ، ثم علاقة الإمام عليه السلام بالجهاز الحاكم الذي كان يتربّص به الدوائر للقضاء عليه. كما استعرضنا أحداث عقد قرانه عليه السلام على ابنة المأمون العباسي ثم زواجه منها ، وما رافق ذينك الحدثين من حوادث كان لها انعكاسات مباشرة على حياته عليه السلام. وفي خاتمة الفصل كانت لنا إطلالة على بعض الثورات

والانتفاضات التي كانت تصبّ في خط أهل البيت عليهم السلام وتدعو لهم.

وأما الفصل الثالث : فقد حاولنا أن نستجمع فيه عطاءه الفكري ودوره الرسالي ، ونشاطه في استقطاب الأصحاب والوكلاء وتوجيه الأُمَّة نحو المسار الإسلامي الصحيح ، وممارسة دوره العلمي في إرساء قواعد التشريع الإسلامي ، ومناظراته واحتجاجاته في الدين والعقيدة. ولم يفتنا اقتباس شذرات من أنوار كلمه النديّة ، كي نروّي بها صحراء نفوسنا المحدبة.

وأخيراً كان لنا فصل رابع بحثنا فيه عن كيفية استدعاء المعتصم العباسي للإمام من المدينة إلى بغداد ، والأسباب والدواعي التي دفعت مثلث الاغتيال إلى التأمّر على الإمام وتنفيذ عملهم الدنيء بقتله بالسم وهو في غضارة شبابه ، ثم عرجنا على من أشاد بشخصية الإمام الجواد عليه السلام وأقرّ بفضلله وتقدمه فانتقينا منهم ما يسمح لنا به سعة الكتاب.

وقبل الوداع كان مسك الختام جولة في رحاب شعر المديح والرثاء لجواد الأئمة عليهم السلام.

اللهمّ فاجعلنا به مهتدين ، وبنوره مستوضحين طريق الحق ، وبيركته مستمطرين خير السماء وبركاتها ، فإنّه حجّتك العليا ، ومثلك الأعلى ، وكلمتك الحسنی.. الداعي إليك ، والبدالّ عليك ، الذي نصبته علماً لعبادك ، ومترجماً لكتابك ، وصادعاً بأمرك ، وناصراً لدينك ، وحجّتك على خلقك ، ونوراً تُخرق به الظلم ، وقدوة تُدرّك بها الهداية ، وشفيعاً تُنال به الجنّة..

والحمد لله ربّ العالمين

الفصل الأول

الجواد في ظل أبيه عليه السلام

ظروف ما قبل الميلاد :

لو عدنا قليلاً إلى الوراثة.. أي إلى ما قبل مولد أبي جعفر الثاني عليه السلام بسنة أو نحوها ، لوجدنا أن ظروفًا عصيبة مرّت بأبيه الإمام الرضا عليه السلام ، الذي عانى في أخريات سني حياته الشريفة من أزمت حادة ، كان يثيرها بعض الواقفة والانتهازيين ؛ للتشكيك بإمامته عليه السلام بعدم إنجاب الوالد. ذلك أنه كان مركزاً في الذهن العامة للمسلمين أنّ من علامات الإمام المعصوم أن يخلفه إمام من صلبه ، إذ لا تكون الإمامة في أخ أو عمّ أو غيرهم ، فقد سئل الإمام الرضا عليه السلام ، أتكون الإمامة في عمّ أو خالٍ؟ فقال : « لا ، فقلت : ففي أخ؟ قال : لا ، قلت : ففي من؟ قال : في ولدي ، وهو يومئذٍ لا ولد له »^(١).

وأغلب الظنّ أنّ الأيدي العباسية لم تكن بعيدة عن ساحة قدس الإمام الرضا عليه السلام في التنقيب وافتعال الحوادث والمواقف للنيل من إمامته عليه السلام والظعن فيها.

نعم ، من هنا كانت معاناة الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام تتزايد يوماً بعد

(١) أصول الكافي / الكليني ١ : ٢٨٦ / ٣ كتاب التوحيد.

١٢ الإمام محمد الجواد عليه السلام يوم ، خاصة وقد امتدَّ به العمر إلى نحو الخامسة والأربعين ، ولم يكن قد حَلَّفَ بعدُ (الولد) الذي يليه بالإمامة ، ثم الذي زاد الخنة سوءاً هو تكالب بعض إخوته وعمومته وأبناء عمومته من العلويين والعباسيين عليه ، حسداً من بعضهم ، وبغضاً وكرهاً من البعض الآخر.. وثمة تأليب الانتهازيين والسلطويين على البيت النبوي عموماً ، حيث أثاروا جميعاً حول شخصية الإمام العظيمة غبار حسدهم وأحقادهم الدفينة.

لكنَّ الإمام عليه السلام كان يقف أمامهم بحزم.. ويحييهم جواب الواثق المطمئن من نفسه بأنَّ الليالي والأيام لا تمضي حتى يرزقه الله ولداً يُفَرِّقُ به بين الحق والباطل. هذا الموقف نستشفّه من رواية محمد بن يعقوب الكليني ، قال : كتب ابن قِياما ^(١) إلى أبي الحسن الرضا عليه السلام كتاباً يقول فيه : كيف تكون إماماً وليس لك ولد ؟

فأجابه أبو الحسن عليه السلام : « وما علمك أنه لا يكون لي ولد؟! والله لا تمضي الأيام والليالي حتى يرزقني الله ذكراً يُفَرِّقُ بين الحق والباطل » (٢).

وينقلنا الكليني عليه الرحمة إلى مشهد آخر مع نفس هذا الواقفي ، وهو يصف حوارَه مع الإمام الرضا عليه السلام بقوله : دخلتُ على علي بن موسى ، فقلت له : أيكون إمامان ؟ قال : « لا ، إلّا أن يكون أحدهما صامتاً ». فقلت له : هو ذا أنت ، ليس لك صامت ! فقال لي : « والله ليجعلنَّ الله مني ما يُثبِت به الحق وأهله ، ويمحق به الباطل وأهله » ولم يكن في الوقت له ولد ، فولد له أبو

(١) ابن قِياما الواسطي : واقفي ، مخالف معروف.

(٢) أصول الكافي ١ / ٣٢٠ / ٤ ، وعنه نقل الشيخ المفيد في الارشاد ٢ : ٢٧٧ بواسطة أبي القاسم جعفر بن محمد بن قولويه. وراجع إثبات الوصية / المسعودي : ١٨٣.

الفصل الأول : الجواد في ظل أبيه عليه السلام ١٣
جعفر عليه السلام بعد سنة (١).

وحتى بعد مولد أبي جعفر التقي عليه السلام لم يكن المشككون منفكّين من محاولاتهم تلك حتى رأوا البيّنة وأذعنوا لها صاغرين ، هم ومن جاءوا بهم من القافة أجمعين. وهناك رقى ابن الرضا عليه السلام درجات منير ، وألقى خطبة قصيرة بليغة ، وصلت في مداها أقصى غاية المنى في تأنيب المشككين ، وردع (الواقفة) والمتصيدين في الضباب ، أو عكّر من الماء ، حين طعنوا في بنوة أبي جعفر عليه السلام وانتسابه للإمام الرضا عليه السلام . فلقد جاءوا بالإفك ، وقول الزور.. وإِنَّه لكبير ما ادّعوه على قدس الإمامة ، والشرف الباذخ للبيت النبويّ الطاهر.

مطهّرون نقيّات ثيابهم تجري الصلاة عليهم كلّما ذكروا
كانت هذه لمحة ضوء خاطفة تطلّعنا من خلال أشعتها على بعض الظروف التي واكبت وسبقت ولادة الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام .. ثم يحين اليوم الموعد..

بشريّ المولد العظيم :

« اللهمّ إنّي أسألك بالمولودين في رجب محمد بن علي الثاني ، وابنه علي بن محمد المنتجب... » (٢) الدعاء.

هذا الدعاء أورده شيخ الطائفة الطوسي رحمته الله (ت / ٤٦٠ هـ) في مصباح

(١) أصول الكافي ١ : ٣٢١ / ٧ . والارشاد ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨ .

(٢) الإمام علي بن محمد التقي يلقّب بالنجب أيضاً ، وأن أباه الإمام الجواد عليه السلام يلقّب بالمنتجب ، فلاحظ.

١٤ الإمام محمد الجواد عليه السلام المتهجّد^(١) ، وابن عياش أحمد بن محمد بن عبد الله الجوهري صاحب كتاب (مقتضب الأثر) ، وقيل هو دعاء مأثور عن صاحب الأمر عليه السلام ، قال ابن عياش : خرج إلى أهلي على يد الشيخ أبي القاسم الحسين بن روح رحمته الله في مقامه عندهم. وبه أخذ بعض المؤرخين بناء على نقل ابن عياش من أن مولد الجواد عليه السلام كان في يوم الجمعة العاشر من رجب سنة (١٩٥ هـ) الموافق لسنة (٨١١) الميلادية. وهو التاريخ المعمول به عند الطائفة اليوم.

لكن العلماء ومشايخ الطائفة يذهبون إلى أن ولادته الميمونة كانت في شهر رمضان من عام (١٩٥ هـ) ، وترددوا بين (١٥ ، ١٧ ، ١٨ ، ١٩) منه ، ولعلّ ثانيها^(٢) هو الأرجح من بين هذه التواريخ ، لكن الأكثر قال بالتاريخ الأخير بناءً على نقل اللاحق عن السابق^(٣).

وأما حدث المولد العظيم وساعته وما جرى فيه من الكرامة فتحكيه السيدة الكريمة حكيمة بنت أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام قالت : (لما حضرت ولادة الخيزران أم أبي جعفر عليه السلام دعاني الرضا عليه السلام ، فقال : « يا حكيمة احضري ولادتها » ، وأدخلني وإياها والقابلة بيتاً ووضع لنا مصباحاً ، وأغلق الباب علينا.

فلما أخذها الطلق طفئ المصباح ، وكان بين يديها طست ، فاغتمت بطفء المصباح ، فبينما نحن كذلك إذ بدر أبو جعفر عليه السلام في الطست ، وإذا

(١) مصباح المتهجّد وسلاح المتعبّد : ٧٤١.

(٢) إعلام الوری ٢ : ٩١. وتاج المواليد / الطبرسي أحمد بن علي (ت / ٥٤٨ هـ) : ٥٢ المطبوع ضمن كتاب « مجموعة نفيسة ».

(٣) أصول الكافي ١ : ٤٩٢. والإرشاد ٢ : ٢٧٣. وعيون المعجزات : ١٢١. ومناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٧٩. وكشف الغمة ٣ : ١٣٥.

الفصل الأول : الجواد في ظل أبيه عليه السلام ١٥

عليه شيء رقيق كهيئة الثوب يسطع نوره حتى أضاء البيت فأبصرناه فأخذته فوضعتة في حجري ونزعت عنه ذلك الغشاء. فجاء الرضا عليه السلام وفتح الباب وقد فرغنا من أمره ، فأخذه ووضع في المهد ، وقال لي : « يا حكيمة الزمي مهده ».

قالت : فلما كان في اليوم الثالث رفع بصره إلى السماء ثم نظر يمينه ويساره ثم قال : « أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله » . فقامت ذعرة فرعة فأتيت أبا الحسن عليه السلام ، فقلت : سمعت من هذا الصبي عجباً . فقال « وما ذاك ؟ » ، فأخبرته الخبر . فقال : « يا حكيمة ما ترون من عجائبه أكثر » ^(١) .

رعاية أبوية خاصة :

ليس أمراً غريباً أن يكتنف الإمام الرضا عليه السلام وليده برعاية وعناية خاصتين ، بل ويحيطه بهالة من التعظيم والتبجيل وهو طفل رضيع ، ذلك أن أبا جعفر هو وحيد الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام الذي رُزقه بعدما جاوز عليه السلام الخامسة والأربعين من العمر ، فعليه تكون الإمامة منحصرة بوليد الفرد . لهذا كله فقد كان إمامنا الرضا عليه السلام يوليه تربية خاصة ، وعناية زائدة ، كما كان يتوسم فيه بركة وخيراً عظيماً على شيعته ومحبيه .

فمن يحيى الصنعاني ، قال : دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام وهو بمكة وهو يقشّر موزاً ويطعم أبا جعفر عليه السلام ، فقلت له : جعلت فداك هو المولود المبارك ؟ قال : « نعم يا يحيى ، هذا المولود الذي لم يولد في الإسلام مثله مولود أعظم بركة على شيعتنا منه » ^(٢) .

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٩٤ . والفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي : ٢٠٨ — ٢٠٩ .

(٢) الفروع من الكافي ٦ : ٣٦٠ / ٣ .

وينقل لنا الرواة والمؤرخون أيضاً كيف أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان يتقرب وبشوق بالغ ، ولهفة عجلى^١ مولد ابنه محمداً ، فلما ولد كان عليه السلام يلازم مهده ، وفي بعض الأحيان كان يناغيه وهو في مهده طول ليلته^(١) ؛ بل إنّ علقته بطفله الرضيع بلغت حداً أنّه عليه السلام كان يلازم مهده لعدة ليالٍ حتى إن أحد شيعته كلمه في أن يكف عن كثرة ملازمته لمهد وليده قائلاً له : جعلت فداك قد وُلد للناس أولاد قبل هذا ، فكل هذا تعوذه ؟

لقد ظن هذا المعترض أن الإمام أبا الحسن عليه السلام ، ولشدة حبه لمولوده ، فإنّه يخاف عليه من عيون الحساد ؛ لذلك فهو يعوذه طوال هذه المدة. لكن الإمام عليه السلام أجاب المستفهم بأن حنوه على ولده ليس لغرض التعويد ، بل إنّ عليه السلام يلقي إليه أمر الإمامة وعلومها ، بقوله : « ويحك ليس هذا عوذة ، إنّما أغرّه بالعلم غراً »^(٢) ، كما كان يطعمه بنفسه ، وما كان يفارقه طويلاً ، حتى إنّ عليه السلام ليصطحبه في سفره وتنقلاته داخل المدينة وخارجها تنويهاً به عليه السلام ، وزيادة في إعظامه وإكرامه.

وأما تعظيم الإمام الرضا عليه السلام لمولوده المبارك ، فإنّه ما كان يناديه إلّا بكنيته منذ نعومة أظفاره ، فقد تحدّث محمد بن أبي عباد وكان يكتب للرضا عليه السلام ، ضمه إليه الفضل بن سهل ، قال : ما كان عليه السلام يذكر محمداً ابنه إلّا بكنيته ، ويقول : كتب إليّ أبو جعفر.. وكنت أكتب إلى أبي جعفر.. وهو صبي بالمدينة ، فيخاطبه بالتعظيم ، وترد كتب أبي جعفر عليه السلام في نهاية البلاغة والحُسن ، فسمعتة يقول : « أبو جعفر وصبي وخليفتي في أهلي من

(١) عيون المعجزات : ١٢١. وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ١٥ / ١٩.

(٢) إثبات الوصية : ١٨٣.

بعدي»^(١) ، وربما كتب إليه الإمام الرضا عليه السلام : فداك أبوك !!

فقد روى العياشي عن محمد بن عيسى بن زياد. قال : كنت في ديوان أبي عباد ، فرأيت كتاباً يُنسخ عنه فقالوا : كتاب الرضا إلى ابنه عليه السلام من خراسان ، فسألتهم أن يدفعوه إليّ فإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أبقاك الله طويلاً وأعاذ من عدوك يا ولد ، فداك أبوك... » ثم يوصيه عليه السلام بالإنفاق وخاصة على الهاشمين من قرابته ، ويختم كتابه بقوله : « وقد أوسع الله عليك كثيراً ، يا بنيّ فداك أبوك لا تستر دوني الأمور لحبها فتخطى حظك ، والسلام »^(٢).

ويبلغ حبّ الوالد لولده مداه ويغرق فيه نزعاً ، حتى يوصله إلى امتزاج روحيهما في روح واحدة هي روح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ذلك الاغراق في الحبّ والمودّة يوقفنا عليه بنان بن نافع في خبر يرويه حول محاورة في الإمامة جرت بينه وبين الإمام الرضا عليه السلام من جهة وبين الإمام الجواد عليه السلام من جهة أخرى.

يقول ابن نافع في نهاية الخبر : ثم دخل علينا أبو الحسن ، فقال لي : « يا ابن نافع سلّم واذهن له بالطاعة ، فروحه روحي وروحي روح رسول الله »^(٣).

وأخيراً ينقل لنا صاحب كتاب دلائل الإمامة خبراً عن أمية بن علي القيسي الشامي يمكننا من خلاله الوقوف على درجة العلاقة بين الوالد والولد ، وشدة حبّ الوالد لولده واهتمامه به من جهة ، ومدى تعلّق الولد

(١) عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٦٦ باب ٦٠. وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ١٨ / ٢.

(٢) تفسير العياشي ١ : ١٣١ - ١٣٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٨.

١٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام بوالده من جهة أخرى ، فقد نقل قول أمية : كنت مع أبي الحسن عليه السلام بمكة ، في السنة التي حجَّ فيها ، ثم صار إلى خراسان ، ومعه أبو جعفر ، وأبو الحسن عليه السلام يودّع البيت ، فلمّا قضى طوافه عدل إلى المقام فصلىّ عنده ، فصار أبو جعفر إلى الحجر فجلس فيه ، فأطال. فقال له موفق : قم جعلت فداك. فقال : « ما أريد أن أبرح من مكاني هذا إلّا أن يشاء الله » ، واستبان في وجهه الغم. فأتى موفق أبا الحسن عليه السلام فقال له : جعلت فداك قد جلس أبو جعفر في الحجر ، وهو يأبى أن يقوم ، فقام أبو الحسن عليه السلام فأتى أبا جعفر فقال : « قم يا حبيبي ». فقال عليه السلام : « ما أريد أن أبرح من مكاني هذا ». قال عليه السلام « بلّى يا حبيبي ». ثم قال عليه السلام : « كيف أقوم وقد ودّعت البيت وداعاً لاترجع إليه ؟ فقال له عليه السلام : « قم يا حبيبي » ، فقام معه ^(١).

نسبه الشريف :

سمّي محمداً وهو بعد في الأصلاب الشامخات والأرحام المطهّرات ، أبوه علي الرضا عليه السلام ، وجدّه الكاظم موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ابن علي السجاد زين العابدين بن الحسين السبط الشهيد ابن علي بن أبي طالب عليه السلام .

نسب وضّاح ، وذريّة طيبة مطهّرة نقيّة.. نعم ، إنّها (سلسلة الذهب) باعتراف عشرين ألفاً أو يزيدون من الكتّاب أو النساخ ، وطلبة العلم والحديث ورواته في نيسابور ، وعلى رأسهم الحافظان أبو زرعة ، ومحمد ابن أسلم الطوسي ^(٢).

(١) كشف الغمة ٣ : ١٥٥ .

(٢) أخبار الدول / القرماني ٣ : ٣٤٤ .

أُمّه عليها السلام :

أما أمّه ، فهي أم ولد اسمها (سبيكة) ، نويّبة . وقيل : سكن المريسية ^(١) .
وقيل أيضاً : إنّ الإمام الرضا عليه السلام لما اشتراها لاستيلادها أطلق عليها اسم
« خيزران » ، وهي من قبيلة مارية القبطية زوج النبي صلّى الله عليه وآله وسلّم .

وعلى كل حال .. فقد كانت من الجلال والقدر أن عُدَّت في زمانها أفضل
بنات جنسها ، وإليها أشار رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو يذكر الإمام محمداً
التقي عليه السلام بقوله : « بأبي ابن خيرة الإماء ، ابن النويبة الطيبة الفم ، المنتجة
الرحم » ^(٢) .

ويدلُّ على مكاتبتها وجلالة قدرها أيضاً ، أن الإمام الكاظم موسى بن
جعفر عليه السلام طلب من يزيد بن سليط أن يبلغها منه السلام إن استطاع إلى ذلك
سبيلاً ، فقد ورد في الخبر أن الإمام الكاظم عليه السلام التقاه في طريق مكة وهم
يريدون العمرة . فقال له : « إني أؤخذ في هذه السنة ، والأمر إلى ابني عليّ
سمي عليّ وعليّ . فأما عليّ الأول فعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وأما عليّ الآخر
فعلي بن الحسين .. يا يزيد فإذا مررت بالموضع ولقيته ، وستلقاه فيشره أنه
سيولد له غلام أمين مأمون مبارك ، وسيعلمك أنك لقيتني فأخبره عند ذلك أن
الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من أهل مارية القبطية جارية رسول
الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وإن قدرت أن تبلغها مني السلام ، فافعل ذلك » . والرواية سنوردها
بتمامها بعد قليل في موضوع النص على إمامة الجواد عليه السلام .

وفي خبر آخر أورده المحدث الشيخ حسين بن عبد الوهاب في « عيون

(١) نسبة إلى مريسة وهي قرية في صعيد مصر من بلاد النوبة .

(٢) أصول الكافي ١ : ٣٢٣ / ١٤ .

٢٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام
 المعجزات » بسند ذكره ، عن كلثم بن عمران ^(١) ، قال : قلت للرضا عليه السلام : ادع
 الله أن يرزقك ولداً. فقال : « إنما أرزق ولداً واحداً وهو يرثني ». فلما ولد أبو
 جعفر عليه السلام قال الرضا عليه السلام لأصحابه : « قد ولد لي شبيه موسى بن عمران ، فالحق
 البحار ، وشبيه عيسى بن مريم ، تقدّست أمٌ ولدته ، قد خلقت طاهرة
 مطهرة » ^(٢).

كنيته :

وكنّي بأبي جعفر من يوم مولده ، وما كان الإمام الرضا عليه السلام يدعوه إلّا بها ،
 وهي الكنية المشهور بها ^(٣) ، ثم عرّفه الرواة والمحدثون بالثاني لتمييزه عن
 الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام . ويكنّى أيضاً بأبي عليّ ، ولا يُعرف بها .

حليته :

كان عليه السلام شديد الأدمه ^(٤) ، ضاوي الجسم ^(٥) قصيره ، قطّ الشعر مثل حلك
 الغراب ^(٦) ، وطبيعي جداً أن يكون الإمام أبو جعفر عليه السلام — وهو من بين أب
 حجازي وأمّ نوبية — حائل اللون ، ولا ريب في ذلك ، هذا وإن كان الإمام
 الجواد عليه السلام حائل اللون إلّا أنّه :

(١) وجاء في مصادر أخرى باسم : كلّيم. وبأبي الاسمين ورد فهما واحد.

(٢) عيون المعجزات : ١٢١ . وعنه الأنوار البهية / المحدث الشيخ عباس القمي : ٢٠٩ .

(٣) الكافي ١ : ٣٢٠ ، ٤٦٩ . وإثبات الوصية : ١٨٣ — ١٩٤ . وتهذيب الأحكام ٦ : ٩٠ باب ٣٧ وما
 بعده .

(٤) دلالات الإمامة : ٣٨٤ / ٣٤٢ ، و ٤٠٤ / ٣٦٥ .

(٥) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٧ . ودلائل الإمامة : ٤٠٤ / ٣٦٥ .

(٦) راجع : دلالات الإمامة : ٣٩٧ / ٣٤٦ . وفي مقاتل الطالبين : ٤٥٦ جاء أيضاً ما هذا نصّه : وزوّج
 المأمون ابنته أم الفضل محمد بن علي بن موسى على حلّكة لونه وسواده ..

الفصل الأول : الجواد في ظل أبيه عليه السلام ٢١

مشتقة من رسول الله نبعته طابت مغارسه والخيم والشيم

وأما ما انفرد به ابن الصباغ من أن صفته أبيض معتدل ، ووافقه بعض من كتب في سيرة الإمام الجواد عليه السلام ، ورجح قوله ، استثقلاً منه أن يقول بسمرة الإمام ، فهو خلاف المشهور من صفته عليه السلام ^(١).

ألقابه الشريفة :

تميز إمامنا الجواد عليه السلام بألقاب عديدة من أحصها به قديماً لقب (التقي) ^(٢) ثم بعد ذلك (الجواد) ^(٣) قال ابن شهر آشوب :

فدبت إمامي أبا جعفر جواداً يلقب بالتاسع

وبين هذين اللقبين عدّوا له ألقاباً أخرى منها : المنتجب والمرضى والزكي والقانع والرضي والمتوكل وغيرها ^(٤).

أولاده :

ذكر الشيخ المفيد رحمته الله أن الجواد عليه السلام (خلف بعده من الولد علياً ابنه الإمام من بعده ، وموسى ، وفاطمة ، وأمّامة ابنتيه ، ولم يخلف ذكراً غير من

(١) حياة الإمام محمد الجواد عليه السلام / باقر شريف القرشي : ٢٤.

(٢) عيون المعجزات : ١٢١ . ودلائل الإمامة : ٣٩٦ . وإعلام الوري^١ : ٢ : ٩١ . وتاج المواليد / الطبرسي : ٥٢ . والدعوات / الراوندي : ٨٩ / ٢٢٤ و ١٠٦ / ٢٣٤ . ومناقب ابن شهر آشوب : ٤ : ٣٧٩ و ٤١٠ — ٤١١ .

(٣) دلائل الإمامة : ٣٩٦ . ومناقب ابن شهر آشوب : ٤ : ٣٧٩ و ٤١٠ — ٤١١ . وكشف الغمة : ٣ : ١٣٧ . والنجوم الزاهرة : ٢ : ٣٢١ حوادث سنة ٢١٩ .

(٤) راجع : الإرشاد : ٢ : ٢٩٥ . ودلائل الإمامة : ٣٩٦ . وإعلام الوري^١ : ٢ : ٩١ .

٢٢ الإمام محمد الجواد عليه السلام سَمِينَاهُ (١).

ونقل ابن شهر آشوب عن الشيخ الصدوق إهْنَنَ : حكيمة وخديجة وأم كلثوم (٢). وزاد عليهن السيد ضامن بن شدقم في (تحفة الأزهار) : فاطمة.

وفي (الشجرة الطيبة) للمدرس الرضوي المشهدي أن بنات الإمام الجواد عليه السلام : زينب ، وأم محمد ، وميمونة ، وخديجة ، وحكيمة ، وأم كلثوم. وقال آخر : ولد الجواد عليه السلام علياً ، وموسى ، والحسن ، وحكيمة ، وبريهة ، وأمامة ، وفاطمة (٣).

إذن ، المشهور أن للإمام الجواد عليه السلام ابنة يقال لها (حكيمة) كانت جليلة القدر ، رفيعة المقام ، عالية الشأن. أو كل إليها أخوها الإمام الهادي عليه السلام جاريتيه (نرجس) كي تعلمها معالم الدين ، وأحكام الشريعة ، وتؤدبها بالآداب الإلهية.

وزوج الإمام الهادي عليه السلام نرجس من ولده الإمام العسكري عليه السلام فأنجبت له الإمام المهدي عليه السلام وقامت حكيمة بمهمة القابلة لأمه ليلة ولادته (٤) ، وصرّحت بمشاهدة الإمام المهدي عليه السلام بعد مولده (٥).

وكان لحكيمة دور مهم بعد استشهاد الإمام الحسن العسكري عليه السلام ، حيث كانت تقوم بدور السفارة بين الشيعة وبين الإمام محمد المهدي عليه السلام ،

(١) الإرشاد ٢ : ٢٩٥. وإعلام الوري ٢ : ١٠٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٠.

(٣) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب : هامش ص ١٩٩.

(٤) كمال الدين ٢ : ٤٢٤ / ١ ط ٢. والغيبة / الشيخ الطوسي : ٢٣٤ / ٢٠٤.

(٥) أصول الكافي ١ : ٣٣٠ / ٣. وكمال الدين ٢ : ٤٣٣ / ١٤.

في غيبته الصغرى ، فكانت تقوم باستلام الكتب والمسائل وتوصلها إلى الإمام عليه السلام ثم تستلم منه توقعاته الشريفة وتوصلها إلى الناس^(١).

أضف إلى ذلك أنها تروي حرز الإمام الجواد عليه السلام ، وقد توفيت هذه السيدة الجليلة في مدينة سامراء ، ودفنت عند رجلي الإمامين العسكريين عليه السلام ، وقبرها مشهور معروف.

وغريب من مثل الشيخ المفيد أن يفوته التعرض لذكر اسمها ضمن تعداده لأبناء الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام ، مع أنه — عليه الرحمة — ذكرها في « الإرشاد » في ثاني خبر له في باب ذكر من رأى الإمام الثاني عشر عليه السلام ، فقال : أخبرني أبو القاسم ، عن محمد بن يعقوب — وهو الكليني — ، عن محمد بن يحيى ، عن الحسين بن رزق الله ، قال : حدثني موسى بن محمد ابن القاسم ابن حمزة بن موسى بن جعفر ، قال : حدثني حكيمة بنت محمد بن علي — وهي عممة الحسن عليه السلام — أنها رأت القائم عليه السلام ليلة مولده وبعد ذلك^(٢).

وأما ولده موسى المعروف بالمبرقع ، وإليه ينتهي نسب السادة الرضويين ، فقد عاش في المدينة ، وبعد شهادة أبيه انتقل إلى الكوفة فسكنها مدة ، ثم هاجر إلى قم فوردها سنة (٢٥٦ هـ) قاصداً استيطانها ، فكان أول سيد رضوي تطأ أقدامه هذه المدينة ، وكان من أهل الحديث والدراية. توفي في ربيع الآخر سنة (٢٩٦ هـ) ودفن في بيته.

النصّ على إمامته :

من نافلة القول معرفة أن منصب الإمامة نص إلهي ، أبلغه تعالى نبيه

(١) بحار الأنوار ١٠٢ : ٧٩ ، وعنه رجال بحر العلوم ٢ : ٣١٧.

(٢) الإرشاد ٢ : ٣٥١.

٢٤ الإمام محمد الجواد عليه السلام

الكريم ﷺ يوم نصّ عليّ خلافة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام له ﷺ في منصب إمامة المسلمين ؛ ثم كانت للرسول الأعظم محمد ﷺ مواقف وكلمات - في روايات وردتنا - صرّح في بعضها بأسماء الأئمة خلفائه واحداً واحداً حتى اثني عشر إماماً ، كما أن الأئمة عليهم السلام - باعتبار عصمتهم - نصوا عليّ من يليهم بهذا المنصب ، ولم يكن الأمر باختيارهم.

أخرج إبراهيم بن محمد الحمّوثي الشافعي في فرائده بسنده ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس رفعه : « إنّ خلفائي وأوصيائي وحجج الله عليّ الخلق بعدي لإثنا عشر ، أوّهم أخي وآخرهم ولدي ». قيل : يا رسول الله ومن أخوك ؟ قال ﷺ : « عليّ ». قيل : فمن ولدك ؟ قال : « المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً.. » الحديث (١).

وفيه : عن الأصبغ بن نباتة ، عن ابن عباس رفعه : « أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين مطهّرون معصومون » (٢).

وإمامنا الجواد عليه السلام وردت النصوص بإمامته عن جدّه النبيّ الأكرم ﷺ وعن آبائه عليهم السلام وإليك جملة من هذه النصوص :

نص النبي ﷺ :

عن جابر بن يزيد الجعفي قال : سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول :

قال لي رسول الله ﷺ : « يا جابر إن أوصيائي وأئمة المسلمين من بعدي

(١) فرائد السمطين ٢ : ٣١٢ / ٥٦٢ . وراجع : ينابيع المودة / القندوزي الحنفي ٣ : ٣٨٣ الباب ٩٤ الطبعة الأولى ١٤١٦ هـ ، تحقيق علي جمال أشرف الحسيني ، نشر دار الأسوة - طهران .

(٢) فرائد السمطين ٢ : ٣١٣ / ٥٦٣ ، ٥٦٤ . وراجع : ينابيع المودة ٣ : ٣٨٤ .

أولهم عليّ ، ثم الحسن ، ثم الحسين ، ثم علي بن الحسين ، ثم محمد بن علي المعروف بالباقر ، ستدركه يا جابر فإذا لقيته فاقرأه مني السلام ، ثم جعفر بن محمد ، ثم موسى بن جعفر ، ثم علي بن موسى ، ثم محمد بن علي ، ثم علي ابن محمد ، ثم الحسن بن علي ، ثم القائم اسمه اسمي ، وكنيته كنيته محمد بن الحسن بن علي...» (١).

ونقل صاحب الفرائد خبراً آخر يرويه ابن عباس عن يهودي يدعى نعتلاً حاجج رسول الله ﷺ في صفات الله ، ثم في أوصيائه وطلب من النبي تسميتهم ، فسامهم له رسول الله ﷺ إنا عشر وصياً (٢).

ونقل أخطب خوارزم الموفق بن أحمد في كتابه «مقتل الحسين» عن ابن شاذان قال : حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ حدثني علي بن علي بن سنان الموصلي عن أحمد بن محمد بن صالح عن سلمان بن محمد عن زياد بن مسلم عن عبدالرحمن بن يزيد بن جابر عن سلامة عن أبي سلمى راعي أبل رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ وعلا : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾ ، قلت : والمؤمنون ، قال : صدقت يا محمد من خلفت في أمتك ، قلت : خيرها ، قال : علي بن أبي طالب ، قلت : نعم يا رب ، قال : يا محمد إني أطلعت إلى الأرض اطلاعة فاخترتك منها فشقت لك اسماً من اسمائي فلا اذكر في موضع إلا ذكرت معي ، فأنا المحمود وأنت محمد ، ثم أطلعت الثانية ، فاخترت علياً ، وشقت له اسماً من اسمائي ، فأنا الأعلى وهو علي ؛ يا محمد اني

(١) راجع : ينابيع المودة ٣ : ٣٩٨ الباب ٩٤ . وكشف الغمة / الإربلي ٣ : ٣١٤ .

(٢) فرائد السمطين ٢ : ١٣٢ / ٤٣١ ، وعنه أورده القندوزي في ينابيع المودة ٣ : ٢٨١ الباب ٧٦ .

خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من سنخ نور من نوري وعرضت ولايتكم على أهل السموات وأهل الأرض فمن قبلها كان عندي من المؤمنين ومن جحدها كان عندي من الكافرين ، يا محمد لو ان عبداً من عبيدي عندي حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي ثم اتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقرّ بولايتكم ، يا محمد أتحب أن تراهم ، قلت : نعم يارب ، فقال : لي التفت عن يمين العرش فالتفت فإذا أنا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلون وهو في وسطهم — يعني المهدي — كأنه كوكب دري. قال : يا محمد هؤلاء الحجج وهو الشائر من عترتك ، وعزتي وجلالي انه الحجة الواجبة لاوليائي والمنتقم من أعدائي» ^(١).

روى الشيخ المفيد رحمته الله بالإسناد عن زكريا بن يحيى بن النعمان ، قال : سمعت علي بن جعفر بن محمد يحدث الحسن بن الحسين بن علي بن الحسين ، فقال في حديثه : لقد نصر الله أبا الحسن الرضا عليه السلام لما بغى عليه إخوته وعمومته.. وذكر حديثاً طويلاً حتى انتهى إلى قوله : فقمتم وقبضت علي يد أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام ، وقلت له : أشهد أنك إمام عند الله. فبكى الرضا عليه السلام ثم قال : « يا عم ، ألم تسمع أبي وهو يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : بأبي ابن خيرة الإمام النوية الطيبة ، يكون من ولده الطريد الشريد ، الموتور بأبيه وجده ، صاحب الغيبة... » ^(٢).

(١) مقتل الحسين / الخوارزمي : ٩٥ — ٩٦. وعنه رواه الجويني الشافعي في فرائد السمطين ٢ : ٣١٩ / ٥٧١.

(٢) الإرشاد ٢ : ٢٧٥. وراجع : اصول الكافي ١ : ٣٢٣ / ١٤. وإعلام الوري ٢ : ٩٢. وبحار الأنوار ٥٠ :

وروى الشيخ الصدوق في (عيون أخبار الرضا) بسنده عن محمد بن علي بن عبد الصمد الكوفي ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، عن محمد بن علي ابن موسى ، عن أبيه علي بن موسى ، عن أبيه جعفر ، عن أبيه جعفر بن محمد ، عن أبيه محمد بن علي ، عن أبيه علي بن الحسين ، عن أبيه الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، قال : « دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعنده أبي بن كعب ، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : مرحباً بأبا عبد الله ، يازين السموات والأرض.. ثم ذكر حواراً طويلاً مفصلاً بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبين أبي ابن كعب ذكر له النبي أسماء الأئمة ودعاء كل واحد منهم حتى وصل إلى إمامنا أبي جعفر الجواد عليه السلام ، فقال في صفته : وإن الله عز وجل ركب في صلبه - أي في صلب الإمام الرضا عليه السلام - نطفة مباركة طيبة رضية مرضية ، وسمّاها محمد بن علي ، فهو شفيع شيعته ، ووارث علم جدّه. له علامة بيّنة ، وحجة ظاهرة ، إذا ولد يقول : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله.. « الخبر ^(١) .

نص الإمام الكاظم عليه السلام :

جاء في كتاب الغيبة لشيخ الطائفة الطوسي رحمته الله خبر رُفِع إلى محمد بن سنان ، قال : دخلت على أبي الحسن موسى عليه السلام من قبل أن يقدم العراق بسنة ، وعلي ابنه جالس بين يديه ، فنظر إليّ وقال : « يا محمد ستكون في هذه السنة حركة فلا تجزع لذلك.. إلى أن قال عليه السلام : من ظلم ابني هذا حقّه وجدد إمامته من بعدي كان كمن ظلم علي بن أبي طالب عليه السلام إمامته وجدده حقّه بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . قال : قلت : والله لئن مدّ الله لي في العمر لأسلمنّ له حقّه ،

٢٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام ولأقرن بإمامته. قال : صدقت يا محمد يمدُّ الله في عمرك وتسلّم له حقّه ، وتقرّ له بإمامته وإمامة من يكون بعده ، قال : قلت : ومن ذاك ؟ قال : ابنه محمد . قال : قلت : له الرضا والتسليم ^(١).

وهذا نصٌّ صريح بإمامته من جدّه الإمام الكاظم عليه السلام . وهناك نصّ آخر في رواية طويلة نقل منها موضع الحاجة ، يرويها يزيد بن سليط الزيدي في لقاءه مع الإمام موسى^١ بن جعفر عليه السلام في طريق مكة ، وهم يريدون العمرة — إلى أن قال : —. ثم قال أبو إبراهيم عليه السلام : « إني أؤخذ في هذه السنة ، والأمر إلى ابني عليّ سمي عليّ وعليّ ، فأما عليّ الأول فعلي بن أبي طالب عليه السلام ، وأما عليّ الآخر فعلي بن الحسين ، أُعطي فهم الأول وحكمته ، وبصره وودّه ودينه ، ومحنة الآخر وصبره على ما يكره ، وليس له أن يتكلم إلّا بعد موت هارون بأربع سنين ، ثم قال : يا يزيد فإذا مررت بهذا الموضع ، ولقيته وستلقاه ، فبشّره أنه سيولد له غلام أمين مأمون مبارك ، وسيعلمك أنّك لقيتني فأخبره عند ذلك أنّ الجارية التي يكون منها هذا الغلام جارية من بيت مارية القبطية جارية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإن قدرت أن تبلغها منّي السلام فافعل ذلك ».

ثم يرحل الإمام الكاظم عليه السلام ، ويلتقي يزيد بالإمام الرضا في نفس ذلك الموضع ويخبره ، ويقصّ عليه الخبر. فيجيبه الإمام عليه السلام : « أما الجارية فلم تجيء بعد ، فإذا دخلت أبلغتها منك السلام ». قال يزيد : فانطلقنا إلى مكة ، واشترأها في تلك السنة ، فلم تلبث إلّا قليلاً حتى حملت ، فولدت ذلك الغلام ^(٢).

(١) راجع: أصول الكافي ١ : ٣١٩ / ١٦. والغيبة / الشيخ الطوسي : ٣٢ / ٨. وبحار الأنوار ٥٠ / ١٩ / ٤.

(٢) أصول الكافي ١ : ٣١٣ — ٣١٩ / ١٤. وإعلام الورى^١ ٢ : ٥٠. وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ٢٥ — ٢٨ / ١٧.

نص الإمام الرضا عليه السلام :

نصوص كثيرة رويت عن الإمام الرضا عليه السلام بشأن إمامة أبي جعفر الجواد عليه السلام والنص عليه جمع شتاتها العلامة المجلسي واستوفها في الجزء الخمسين من بحاره ^(١) فكانت ستة وعشرين نصاً ، اخترنا منها النصوص التالية :

روى الكليني بسنده عن معمر بن خلاد قوله : ذكرنا عند أبي الحسن عليه السلام شيئاً بعد ما ولد له أبو جعفر عليه السلام ، فقال : « ما حاجتكم إلى ذلك ، هذا أبو جعفر قد أجلسه مجلسي وصيرته في مكاني » ^(٢).

وعنه بسنده ، عن الخيري ، عن أبيه قال : كنت واقفاً بين يدي أبي الحسن عليه السلام بخراسان ، فقال له قائل : يا سيدي إن كان كون فيإلى من ؟ قال : « إلى أبي جعفر ابني ». فكان القائل استصغر سنّ أبي جعفر عليه السلام ، فقال أبو الحسن عليه السلام : « إنّ الله تبارك وتعالى بعث عيسى بن مريم رسولا نبياً ، صاحب شريعة مبتدأة في أصغر من السن الذي فيه أبو جعفر عليه السلام » ^(٣).

ونقل ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة عن الشيخ المفيد رحمته بإسناده عن صفوان بن يحيى قال : قلت للرضا عليه السلام : قد كنا نسألك قبل أن يهب الله لك أبا جعفر فكنت تقول : « يهب الله لي غلاماً ». فقد وهبه الله لك ، وقرّ عيوننا به ، فلا أرانا الله يومك ، فإن كان كون فيإلى من ؟ فأشار بيده إلى أبي

(١) بحار الأنوار ٥٠ : ١٨ - ٣٦.

(٢) أصول الكافي ١ : ٣٢١ / ٦. ونحوه في ١ : ٣٢٠ / ٢. والإرشاد ٢ : ٢٧٦. وإعلام الوري ٢ : ٩٣. والفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي : ٢٦١.

(٣) أصول الكافي ١ : ٣٢٢ / ١٣.

٣٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام

جعفر وهو قائم بين يديه ، فقلت له : جُعلت فداك ، وهذا ابن ثلاث سنين ؟ قال : « وما يضرُّ من ذلك ! قد قام عيسى بالحجة وهو ابن أقل من ثلاث سنين » ^(١).

كما نقل القندوزي الحنفي في ينايعه ، عن فرائد السمطين للمحدث الجويني الخراساني الشافعي باسناده ، عن دعبل الخزاعي ، عن علي الرضا ابن موسى الكاظم عليه السلام قال : « يا دعبل الإمام من بعدي محمد ابني ، وبعد محمد ابنه علي ، وبعد علي ابنه الحسن ، وبعد الحسن ابنه الحجة القائم المنتظر في غيبته ، المطاع في ظهوره » ^(٢).

شهادات أخرى :

ومن شهد بإمامة الجواد عليه السلام وأدعن لها عم أبيه : علي بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام المعروف بالغريري ، فقد روى الكليني رحمته الله بسنده ، عن محمد ابن الحسن بن عمار قال : كنت عند علي بن جعفر الصادق جالساً بالمدينة ، وكنت أقمت عنده سنتين أكتب عنه ما سمع من أخيه — يعني أبا الحسن موسى الكاظم عليه السلام — إذ دخل عليه أبو جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فوثب علي بن جعفر ؛ بلا حذاء ولا رداء فقبّل يده وعظّمه ، فقال له أبو جعفر عليه السلام : « يا عم اجلس رحمك الله » ، فقال : يا سيدي ! كيف أجلس وأنت قائم ؟

(١) الفصول المهمة : ٢٦١ . وراجع : الإرشاد ٢ : ٢٧٦ . وإثبات الوصية / المسعودي : ١٨٥ . وأصول الكافي ١ : ٣٢١ / ١٠ باختلاف يسير جداً . وذكر نحوه الخزاز في كفاية الأثر : ٢٧٩ .

(٢) ينايع المودة ٣ : ٣٤٨ الباب ٨٦ . وفرائد السمطين ٢ : ٣٣٧ / ٥٩١ . نقله عن عيون أخبار الرضا ٢ : ٢٩٦ / ٣٥ من الباب ٦٦ .

الفصل الأول : الجواد في ظل أبيه عليه السلام ٣١
فلما رجع علي بن جعفر إلى مجلسه جعل أصحابه يوبخونه ويقولون :
أنت عم أبيه ، وأنت تفعل به هذا الفعل؟! فقال : (اسكتوا ، إذا كان الله عزَّ
وجلَّ - وقبض على لحيته - لم يؤهل هذه الشيبة ، وأهل هذا الفتى ووضعه
حيث وضعه ، أنكر فضله؟! نعوذ بالله مما تقولون ، بل أنا له عبد)^(١).

وروى الكشي بسنده عن علي بن جعفر خيراً له مع واقفي حاججه في
أمر الإمامة ، فأجابه علي بن جعفر جواباً قاطعاً بأن أبا جعفر الجواد عليه السلام هو
الإمام الناطق بعد أبيه علي بن موسى الرضا^(٢).

كما روى الكشي في رجاله باسناده عن أبي عبدالله الحسين بن موسى
ابن جعفر ، قال : كنت عند أبي جعفر عليه السلام بالمدينة وعنده علي بن جعفر ،
وأعرابي من أهل المدينة جالس ، فقال لي الأعرابي : من هذا الفتى؟ وأشار
بيده إلى أبي جعفر عليه السلام . قلت : هذا وصي رسول الله صلى الله عليه وآله . فقال : يا سبحان
الله ! رسول الله قد مات منذ مئتي سنة وكذا وكذا سنة ، وهذا حدث ، كيف
يكون؟!

قلت : هذا وصي علي بن موسى ، وعلي وصي موسى بن جعفر ،
وموسى وصي جعفر بن محمد ، وجعفر وصي محمد بن علي .. الخبر^(٣).

وهذا الخبر من جملة الأحاديث والمرويات المستفيضة في مظاهما ،
الدالة على أنه كان معروفاً آنذاك أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام هم أوصياء
رسول الله صلى الله عليه وآله بالنص عليهم واحداً بعد واحد.

(١) أصول الكافي ١ / ٣٢٢ / ١٢ .

(٢) رجال الكشي : ٤٢٩ / ٨٠٣ .

(٣) رجال الكشي : ٤٢٩ / ٨٠٤ .

العمر ومنصب الإمامة :

ليس غريباً إذا قلنا : إنه لا مدخلية للعمر في تسبّم منصب الإمامة ، ولو أن ظاهرة الإمام الجواد عليه السلام كانت الأولى من نوعها في الإسلام على ما هو معهود ومعروف ! إلّا أنّها لم تكن الأولى في العالم على مستوى حركة الأنبياء والرسل وأوصيائهم السابقين ، فذاك عيسى بن مريم آتاه الله الحكمة والنبوة وكان في المهد صبياً ، وقبله كان يحيى ، فقد آتاه الله الحكم والكتاب وهو صبي ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ^(١).

(فإنّ الظاهرة التي وجدت مع هذا الإمام وهي ظاهرة تولّي شخص للإمامة وهو بعد في سن الطفولة ، على أساس أن التاريخ يتفق ويجمع على أنّ الإمام الجواد توفي أبوه وعمره لا يزيد عن سبع سنين . ومعنى هذا أنّه تولّي زعامة الطائفة الشيعية روحياً وفكرياً وعلمياً ودينياً وهو لا يزيد عن سبع سنين ، هذه الظاهرة التي ظهرت لأول مرة في حياة الأئمة في الإمام الجواد عليه السلام) ^(٢).

وقد قدّمنا في الفصل الأول الروايات التي تنصّ على أنّ الإمام الرضا عليه السلام وهو الإمام المعصوم قد شهد بأن مولوده الصغير — وكان يشير إليه — سيكون الإمام من بعده بالرغم من صغر سنّه ^(٣) ، وبذلك فقد حلّ الإمام الرضا عليه السلام إشكالية المسألة في حياته وأرجع أصحابه وشيعته وجميع

(١) سورة مريم : ١٩ / ١٢ .

(٢) من محاضرة للسيد الشهيد محمد باقر الصدر رحمته الله في ٢٩ ذي القعدة الحرام سنة ١٣٨٨ هـ لم تنشر توجد ضمن مستندات ووثائق موسوعة الشهيد الصدر .

(٣) راجع النصوص المتقدمة آنفاً عن أصول الكافي ١ : ٣٢١ / ١٠ و ٣٢٢ / ١٣ و ٣٨٣ / ٢ . وإثبات الوصية : ١٨٥ .

الفصل الأول : الجواد في ظل أبيه عليه السلام ٣٣
المسلمين إلى ابنه الجواد عليه السلام .

ثم إن الإمام الجواد عليه السلام نفسه قد أدرك الشك والحيرة من بعض أصحاب أبيه في هذا الأمر ؛ لأنهم لم يألفوا ذلك من قبل فأراد في بعض المواقف تبيان هذه الظاهرة ، وإفادات نظر المترددين إلى الحقيقة التي غابت عن أذهانهم ، فقد روى الكليني بالإسناد عن علي بن اسباط ، قال : خرج عليه السلام علياً فنظرت إلى رأسه ورجليه ؛ لأصف قامته لأصحابنا بمصر ، فبينما أنا كذلك حتى قعد ، فقال : « يا علي ، إن الله احتج في الإمام بمثل ما احتج في النبوة ، فقال : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ ^(١) ، قال : ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ﴾ ^(٢) ، ﴿ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ ^(٣) فقد يجوز أن يؤتى الحكمة صبيّاً ^(٤) ، ويجوز أن يُعطاها وهو ابن أربعين سنة » ^(٥) .

وعندما يُسأل عن هذا الموضوع وهو ابن سبع سنين أو نحوها ، يجيب سائله إجابة قاطعة ليس فيها ترديد ولا تورية.. جواب واثق مطمئن من إمامته على الناس ، وهو ما رواه الكليني بالإسناد عن محمد بن اسماعيل بن بزيع ، قال : سألته — يعني أبا جعفر عليه السلام — عن شيء من أمر الإمام ، فقلت : يكون الإمام ابن أقل من سبع سنين ؟ فقال : « نعم ، وأقل من خمس سنين » .

فقال سهل : فحدثني علي بن مهزيار بهذا في سنة إحدى وعشرين

(١) سورة مريم : ١٩ / ١٢ .

(٢) سورة يوسف : ١٢ / ٢٢ . وسورة القصص : ٢٨ / ١٤ .

(٣) سورة الأحقاف : ٤٦ / ١٥ .

(٤) في الرواية الأخرى : الحكمة وهو صبي .

(٥) أصول الكافي ١ : ٤٩٤ / ٣ ، ومثله أيضاً ١ : ٣٨٤ / ٧ باب حالات الأئمة في السن .

كما أنه عليه السلام يردّ على المنكرين عليه صغر سنه بشواهد قرآنية لها مصاديق من سيرة الرسول الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو ما نقرأه في رواية الكليني الأخرى عن علي بن إبراهيم ، عن أبيه ، قال : قال علي بن حسان لأبي جعفر عليه السلام : يا سيدي ، إنّ الناس ينكرون عليك حدثاً سنّك ، فقال : « وما ينكرون من ذلك ، قول الله عزّ وجلّ ؟ لقد قال الله عزّ وجلّ لنبيّه صلّى الله عليه وآله وسلّم : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ﴾ ^(٢) فوالله ما تبعه إلّا علي عليه السلام وله تسع سنين وأنا ابن تسع سنين » ^(٣).

من خلال التأمل في الروايات التي مرّ ذكرها يتبيّن لنا تركيز الأئمة عليهم السلام على دور الإمامة في حياة الأُمَّة ، ومقارنتها بالنبوّة. وطبيعي أن تُقرن الإمامة بالنبوّة لما بينهما من سنخية واحدة ، فالإمام عليه السلام إنّما يلفت نظر الناس إلى أن العمر لا مدخلية له في منصبي النبوّة والإمامة ؛ لأنّهما منصبان يتعينان من قبل الله سبحانه وتعالى ، والله تعالى لا يختار لرسالاته إلّا المعصوم المتحصل لجميع الكمالات ، وعليه فهو تبارك وتعالى لا يتعامل مع سن المبعوث بقدر ما يتعامل مع ظروف المرحلة التي تمرّ بها الرسالة والأُمَّة ، ومدى الحاجة إلى الشخص المختار لتدارك حالة المجتمع في مقطع زمني معين تكون الحاجة إليه هناك ماسة وضرورية.

نعم ، فالإمام يريد أن يقول للناس : عليكم أن تنظروا للإمام.. أن تتعاملوا

(١) أصول الكافي ١ : ٣٨٤ / ٥ .

(٢) سورة يوسف : ١٢ / ١٠٨ .

(٣) أصول الكافي ١ : ٣٨٤ / ٨ .

مع منصب الإمامة ، كما تنظرون إلى مقام النبوة وتعاملوا معها. فالإمامة امتداد طبيعي للنبوة ، لذلك تكتسب نفس قداستها ؛ لأنهما — كما قلنا — من مختصات السماء ، وما ترسله السماء يجب أن يكون له قدسية خاصة ، وأما — أي الإمامة — « .. أجلّ قدراً ، وأعظم شأنًا ، وأعلى مكاناً ، وأمنع جانباً ، وأبعد غوراً من أن يبلغها الناس بعقولهم ، أو ينالوها بأرائهم ، أو يقيموا إماماً باختيارهم.. »^(١).

ولما كان هذا حال الإمامة والإمام ، يجريان مجرى النبوة والأنبياء ، فإنه يجوز على الإمام أن يتولى الإمامة وهو ابن سنتين — مثلاً — أو أقل من ذلك أو أكثر ، كما جاز ذلك في النبوة وهو ما عرفناه من قبل في مثال يحيى بن زكريا ، وعيسى بن مريم عليه السلام .

والشاهد آية الله العظمى السيد محمد باقر الصدر رحمته الله في محاضراته التي أشرنا إليها قبل قليل يلفت النظر إلى أنه لو تم دراسة ظاهرة إمامة الجواد عليه السلام بقانون حساب الاحتمالات لتبين : (أنها وحدها كافية للاقتناع بحقانية هذا الخط الذي كان يمثله الإمام الجواد عليه السلام) . وهو طريق عقلي آخر يضاف إلى طرق إثبات الإمامة وحصرها بأهل البيت عليه السلام ، ثم يفترض السيد الشهيد رحمته الله عدة افتراضات يمكن أن تُثار حول إمامة الإمام الجواد عليه السلام ويجب عنها منطقياً وتاريخياً ، لكنه رحمته الله يجيب قبل طرح الافتراضات فيقول : (إذ كيف يمكن أن نفترض فرضاً آخر غير فرض الإمامة الواقعية في شخص لا يزيد عمره عن سبع سنين ويتولى زعامة هذه الطائفة في كل المجالات الروحية والفكرية والفقهية والدينية) .

الفصل الثاني

الحالة السياسية في عصر الإمام عليّ

تميّزت الفترة الزمنية التي عاشها الإمام الجواد عليّ بعد استشهاد والده الإمام الرضا عليّ ؛ بهدوء سياسي نسبي ، بعد أن تمّ تصفية الحساب في وقت سابق بين الأخوين العباسيين الأمين والمأمون بمقتل الأول (٢٥ محرم ١٩٨ هـ) ، وتفرد الثاني بالسلطة السياسية ، وقد حلاله الجوم من المنافس السياسي سوى الإمام الرضا عليّ ، الذي كان يتصدّر الزعامة الروحية والاجتماعية للمجتمع الإسلامي ، وسوى بعض الثورات والانتفاضات العلوية هنا وهناك ، والتي سرعان ما قُضي عليها بحنكة سياسية ، ودهاء ماكر ، وقوة عسكرية حاسمة ، ثم دُبّر أمر تصفية الإمام الرضا عليّ في آخر صفر^(١) سنة ٣٠٢ هـ ، بمكيدة ودهاء تامين ، الأمر الذي جنّب المأمون أيّ مشكلة سياسية ذات بال تواجه استقرار الحكومة.

أما اضطرابات بغداد وانفصالها عن سلطة المأمون ، ومبايعة عمّه إبراهيم

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٥٠ . والشذرات الذهبية / ابن طولون : ٩٨ وفيه : آخر صفر سنة اثنتين ومئتين . وفي التنبيه والإشراف / المسعودي : ٣٠٣ : في أول صفر ؛ لكنه في إثبات الوصية : ١٨٢ ، قال : مضى صلى الله عليه — في سنة اثنين ومئتين من الهجرة في آخر ذي الحجة . وروي أنه مضى في صفر ، والخبر الأول أصح .

ابن المهدي العباسي في (٥ محرم سنة ٢٠٢ هـ) بالخلافة ، ثم مناوشاتهم وحرورهم مع ولاة دولة المأمون ، فسرعان ما أخمدت وعادت بغداد إلى أحضان دولة الخلافة المأمونية ، بدخول المأمون مدينة السلام على رأس جيش خراساني لجب في ١٨ صفر سنة ٢٠٤ هـ ^(١).

وبعد استتباب الأوضاع السياسية في بغداد ، واستقرار شؤون الدولة في العاصمة الجديدة (بغداد) ، من بناء القصور الملكية والدواوين (الوزارات) ، والمراكز الأمنية وغيرها ، تنهاى إلى سمع المأمون أخبار أبي جعفر ابن الرضا عليه السلام واحتفاء الناس به ، وظهور كراماته ومعجزاته ..

فيتأمل المأمون — وهو السياسي المحنك والخبير — في الأمر ملياً ، ويرسل خلف الإمام ابن الرضا عليه السلام يستدعيه من المدينة إلى بغداد في تلك السنة. وفي تقديرنا أن التحرك السياسي للإمام الجواد عليه السلام يتدب من السنة التالية (٢٠٥ هـ) التي وصل فيها إلى بغداد بعد أن أدى نسك الحج ، وعاد إلى المدينة ليجمع أهل بيته وعمومته من الهاشمين وخدمه ؛ لمرافقته إلى عاصمة الدولة لإجابة (المأمون) طلبه ، وكان له عليه السلام أول لقاء مع المأمون العباسي في التاريخ المذكور ، ومن ذلك الوقت يبدأ المسلسل التاريخي الحافل السياسي ، والاجتماعي ، والعلمي لحياة جواد الأئمة عليه السلام.

بعد هذه المقدمة الموجزة ندخل إلى رحاب الحياة السياسية للإمام الجواد عليه السلام ، باستشفاف بعض ملامح موقف السلطة العباسية تجاه الإمام عليه السلام من جهة ، وتجاه الشيعة عموماً من جهة أخرى.

الموقف السياسي بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام :

كانت الفترة بين (رمضان ٢٠١ - صفر ٢٠٣ هـ)^(١) التي تقلد فيها الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد سيّ هدوء نسبي إلّا ما كان من اضطراب الأمور في بغداد حقناً على المأمون ؛ لمقتل محمد الأمين أولاً ؛ وتوليته العهد من بعده للرضا من آل محمد ﷺ ، ظناً منهم أن الخلافة ستخرج من بني العباس إلى آل أبي طالب ، لكن تبين بعد ذلك أن المأمون كان يفكر غير ما كانوا يستعجلون تفكيره.

وأما السنوات القلائل التي أعقبت استشهاد الإمام الرضا عليه السلام فكانت هي الأخرى مشحونة بالحذر والترقب من قبل الشيعة عموماً والبيت الهاشمي خصوصاً ؛ للسياسة التي اتخذها المأمون في تقريب الإمام الجواد عليه السلام وإنزاله تلك المتزلة منه ، وهذا الترقب والحذر راجع إلى عدة أمور لعلّ من أهمها ما نوجزه بالنقاط التالية :

١ - شغف المأمون بأبي جعفر عليه السلام بعد أن استدعاه من المدينة المنورة إلى بغداد ؛ لما رأى من غزارة علمه وهو لم يبلغ الحلم بعد ، ولم يحضر عند أحد للتلمذ والدراسة ، ثم إن صغر السن وامتلاك علوم حجة والجلوس للمناظرة والحجاج مع كبار الفقهاء هي ظاهرة فريدة وغريبة في دنيا الإسلام

(١) هناك نصّ نقله النجاشي في رجاله : ٢٧٧ رقم ٧٢٧. وشيخ الطائفة الطوسي في أماليه : ٣٥٩ / ٧٤٩ يشير إلى أنّ الإمام الرضا عليه السلام كان في خراسان سنة (١٩٨ هـ) ، حيث يروي أبو الحسن عليّ أخو دعبيل الخزاعي أنّه ودعبل رحلا إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والتقياه في تلك السنة ، وحدثهما إملاءً في رجب من ذلك العام ، وأقاما عنده إلى آخر سنة (٢٠٠ هـ). ثم خرجا من عنده متوجهين صوب قم حيث أشار الإمام عليه السلام إليهما أن يصيرا إليها وهما في طريق عودتهما إلى واسط ، بعد أن خلع عليهما وزودهما وأعطاهما من الدراهم الرضوية ما يعينهما.

٤٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام يومذاك ، تجلب الانتباه وتأخذ بالعقول وتستهيها ؛ لهذا فقد أبقاه عنده فترة طويلة.

٢ - المأمون ، ولأجل رفع أصابع الاتهام عنه باغتيال الإمام الرضا عليه السلام ، أراد أن يثبت ظاهرياً للعوام والخواص حبه للنبي صلى الله عليه وآله ، من خلال بقاءه على ولاء وحب البيت العلوي؛ لذلك أظهر اهتماماً زائداً ، وتكريماً متميزاً للإمام الجواد عليه السلام ، بل وأقر له ما كان يعطي أباه الرضا عليه السلام من عطاء وزيادة ، فبلغ عطاؤه ألف ألف درهم سنوياً^(١).

٣ - تزويجه إياه من ابنته (زينب) المكناة بأُم الفضل ، واسكانه قصور السلطنة.

٤ - توليته بعد وروده بغداد عام (٢٠٤ هـ) عبيدالله بن الحسن بن عبيدالله بن العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام مكة والمدينة. وبقي على ولايتهما حتى أواخر عام (٢٠٦ هـ).

٥ - أمره ولاة الأقاليم والخطباء بإظهار فضائل الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام على المنابر في جميع المناسبات.

٦ - تبنيّه مذهب الاعتزال وإظهار القول بخلق القرآن في ربيع الأول سنة (٢١٢ هـ) ، وكان الدافع من وراء ذلك - علي ما يظهر لنا - سياسياً ، لأجل تصفية بعض الخصوم وإبعاد البعض الآخر ، وإجبار بعض الفقهاء ، خارج المدار السلطاني ، الدخول في فلك البلاط ؛ لتمرير بعض المآرب السياسية في مرحلة لاحقة. ثم لعلّه أراد من إظهار هذا الحق باطلاً كان يختبئ في

(١) مرآة الجنان / اليافعي ٢ : ٨٠.

مطاوي نفسه التي لم تُعرف نواياها الحقيقية ، فماتت معه بموته .

كما أراد صرف الناس عن توجهه إلى أهل البيت عليّ والتمسك بمنهجهم القويم .

بهذا الدهاء السياسي استطاع المأمون العباسي سحب البساط من تحت أرجل شيعة أهل البيت عليّ عموماً ، والطالبيين بشكل أخص ، وفوت عليهم فرصة أي ثورة أو انتفاضة ضد حكومته . وبذلك تمكن من أن يأمن هذا الجانب — وإن كان على حذر ووجل إلى فترة غير قليلة — استطاع خلالها ترتيب البيت العباسي ، واستحكام أمر الخلافة . ولم يكن المأمون مستعجلاً هذه المرة مع الإمام الجواد عليّ الصبي الصغير ثم الشباب اليافع ، بشأن تصفية وجوده ، لما يشكّله عليّ من خطر على مستقبل الخلافة والوجود العباسي ككل .

ولقد انعكس ذلك الهدوء السياسي النسبي الذي أعقب تولي الإمام الرضا عليّ عهد المأمون له بالخلافة من بعده ، على امتداد فترة إمامة أبي جعفر الثاني عليّ ، إلّا ما كان من ثورة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليّ في اليمن سنة (٢٠٧ هـ) .

كان هذا مجمل الوضع السياسي بُعيد استشهاد الإمام الرضا عليّ ، وتسوّم الإمام الجواد عليّ منصب الإمامة ، واطهاره لها وهو حدث صغير ، الأمر الذي جعل الأنظار تتجه نحوه ، وتصطكّ عنده رُكبُ العلماء ، وتُثنى أمامه هيئةً وإذعاناً لعلمه .

ثم ما كان من أحداث (قم) سنة (٢١٠ هـ) . وفي سنة (٢١٤ هـ) كانت حركة جعفر بن داود القمي في مصر . وسنأتي على تفصيل هذه الثورات

والحركات في خاتمة هذا الفصل إن شاء الله.

وفي مطلع سنة (٢١٥ هـ) كان خروج المأمون لغزو الروم ، ماراً بتكريت سالكاً طريق الموصل – نصيبين على ما يبدو. وقد طال أمد حروبه نسيباً مع الروم فاستمرت حتى وفاته في عام (٢١٨ هـ)^(١) تخللتها فترات هدنة عاد فيها إلى الشام.

ولعل آخر حدث في حياة الإمام الجواد عليه السلام كان خروج محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام في الطالقان من بلاد خراسان عام (٢١٩ هـ) يدعو للرضا من آل محمد صلوات الله عليهم.

القول بخلق القرآن :

في ربيع الأول من عام (٢١٢ هـ) أظهر المأمون لأول مرة القول بخلق القرآن الكريم ، وتفضيل علي بن أبي طالب عليه السلام ، وأنه أفضل الناس بعد رسول الله صلوات الله عليهم. ثم بعد فترة أصدر (مرسوماً) ملوكياً وعممه على كافة ولايات الامبراطورية الإسلامية يدعو فيه القضاة والمحدثين للقول بخلق القرآن ، وإلا رُدَّتْ شهادتهم ، وأمر بإشخاص جماعة منهم إليه ، وكان يومها في الرقة.

أما السبب الذي قاد إلى أطروحة خلق القرآن هو أن بعض المثقفين والعلماء الذين لم يكونوا ميالين إلى السلطة السياسية ، ولم يستطيعوا خوض نضال سياسي واجتماعي مكشوف مع السلطة خوفاً على استمرارية وجودهم في الحياة ، لما تميّز به الدور الأموي من طابع قمعي استبدادي.

فقد انتحلوا مذهب الاعتزال الذي أخذ بدوره يطور الفلسفة الإسلامية عن طريق علم الكلام الذي يغلب عليه الطابع السجالي العقلي الحر ، واعتماده الجدل المنطقي ، والقياس في مناقشة القضايا الكلامية. ثم كان من مقولاتهم : المترلة بين المترلتين ، وحرية الاختيار (التفويض) ، وأخيراً خلق القرآن.

وبوصول نوبة الخلافة إلى المأمون ودعمه مذهب الاعتزال ، حدا به الموقف (السياسي — العقيدي) إلى أتباع وسائل إدارية قسرية لفرض وإشاعة هذا المذهب ، حتى بلغ الأمر أن أصدر مرسومه السلطاني — فيما بعد — بعدم تقليد منصب القضاء لغير معتققي مذهب الاعتزال والقائلين بخلق القرآن.

هذه الأطروحة الفكرية العقائدية التي كان يُراد منها تصفية بعض المناوئين للسلطة العباسية ، أضحت سياسة رسمية للدولة أيام حكم المأمون والمعتصم والواثق ، يُعاقب من لم يقلق بها ويتخذها مبدأً له. وفعلاً فقد شكّل هذا المقطع الزمني (محنة) بالنسبة لغير (فقهاء السلطان). فقد وجدوا أنفسهم في مواجهة تحول الفكر والمعتقد إلى مؤسسة من مؤسسات السلطة التي أخذت تلوح بعصا الايديولوجية ؛ لسحق المعارضة السياسية ، وضرب المعارضة الفكرية في آن واحد.

والتأريخ لم يحدثنا عن موقف للإمام الجواد عليه السلام من هذه القضية التي كانت مثار جدل ونقاش سنين عديدة.

الإمام والسلطة :

قبل الحديث عن علاقة الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام بالسلطة العباسية ،

والمأمون العباسي رأس السلطة بالخصوص ، ثم ما تمخض عن تلك العلاقة من إرهابات ، لا بدّ من إلقاء الضوء على بعض المقدمات التي استرعت انتباه السلطة الحاكمة ، وجعلتها تولي قضية الإمام الجواد عليه السلام أهمية خاصة ، سيّما وأن إمامته عليه السلام وهو بهذه السن غير المعهودة من قبل ، قد طار صيتها في الآفاق ، وأخذت تجتذب إليها القلوب ، وتستهوِي جماهير الأمة الإسلامية ، وراح حديث خلافة أبي جعفر لأبيه الرضا عليه السلام في منصب الإمامة ، ونبوغه العلمي وهو في هذا السن المبكر يسري شيئاً فشيئاً إلى مختلف أقطار الدولة الإسلامية ، بعد أن أصبح حديث عامة الناس وشغلهم في مكة والمدينة.

ومرة أخرى اختلفت كلمة الشيعة بعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام ، ووقعوا في حيرة من أمر الإمامة ؛ لاستصغار بعضهم سنّ أبي جعفر عليه السلام ، رغم أن الرضا عليه السلام طالما أكدّ لشييعته وأصحابه حال حياته بصريح العبارة ، وأبو جعفر لم يتجاوز الثلاث سنوات ، بأنّه إمامهم ومولاهم من بعده ، وقد مرّت الإشارة إلى تلك الأحاديث في النص على إمامته عليه السلام من الفصل الأول. ولكن.. وبعد استشهاد الإمام الرضا عليه السلام تحيرت الشيعة واضطرب أمرهم في كلّ الأمصار ، ففي بغداد مثلاً (اجتمع الريان بن الصلت ، وصفوان ابن يحيى ، ومحمد بن حكيم ، وعبدالرحمن بن الحجاج ، ويونس بن عبدالرحمن وجماعة من وجوه الشيعة وثقاتهم في دار عبدالرحمن بن الحجاج في (بركة زلزل) ليكون ويتوجعون من المصيبة.

فقال لهم يونس بن عبدالرحمن : دعو البكاء ، من لهذا الأمر ، وإلى من نقصد بالمسائل إلى أن يكبر هذا الصبي ؟ يعني أبا جعفر عليه السلام ، وكان له ست

سنين وشهور^(١). ثم قال : أنا ومن مثلي !

فقام إليه الرّيان بن الصلت فوضع يده في حلقه ، ولم يزل يلطمه ويقول له : أنت تظهر الإيمان لنا وتبطن الشكّ والشرك ، : إن كان أمره من الله حلّ وعلا ، فلو أنّه كان ابن يوم واحد لكان بمترلة الشيخ العالم وفوقه ، وإن لم يكن من عند الله فلو عمّر ألف سنة فهو واحد من الناس ، هذا مما ينبغي أن يفكر فيه . فأقبلت العصابة عليه (يونس بن عبد الرحمن) تعذله وتوبّخه .

وكان وقت الموسم ، فاجتمع من فقهاء بغداد والأمصار وعلمائهم ثمانون رجلاً ، فخرجوا إلى الحج ، وقصدوا المدينة ؛ ليشاهدوا أبا جعفر عليّ فلما وافوا ، أتوا دار الإمام جعفر الصادق عليّ ؛ لأنها كانت فارغة ، ودخلوها وجلسوا على بساط كبير ، وخرج إليهم عبدالله بن موسى ، فجلس في صدر المجلس ، وقام منادٍ وقال : هذا ابن رسول الله ، فمن أراد السؤال فليسأله .

فقام إليه رجل من القوم فقال له : ما تقول في رجل قال لامرأته أنت طالق عدد نجوم السماء ؟ قال : طلقت ثلاث دون الجوزاء . ثم قام إليه رجل آخر فقال : ما تقول في رجل أتى بهيمة ؟ قال : تقطع يده ، ويجلد مئة جلدة ، ويُنفى !

فورد على الشيعة ما حيرهم وغمّهم ، واضطربت الفقهاء وقاموا وهمّوا بالانصراف ، وقالوا في أنفسهم : لو كان أبو جعفر عليّ يكمل لجواب المسائل لما كان من عبدالله ما كان ، ومن الجواب بغير الواجب ، فهم في ذلك إذ فُتح باب من صدر المجلس ، ودخل (موفّق) وقال : هذا أبو جعفر ، فقاموا إليه بأجمعهم واستقبلوه وسلّموا عليه ، فدخل عليّ وعليه قميصان ،

(١) بناءً على هذه الرواية نستظهر أن شهادة الإمام الرضا عليّ كانت سنة (٢٠٢ هـ) .

٤٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام

وعمامة بذؤابتين إحداهما من قدام والأخرى من خلف ، ونعل بقبالين ^(١) ، فجلس وأمسك الناس كلهم ، ثم قام صاحب المسألة الأولى ، فقال : يا ابن رسول الله ، ما تقول فيمن قال لامرأته أنتِ طالق عدد نجوم السماء ؟

فقال له : « يا هذا اقرأ كتاب الله ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ ﴾ ^(٢) في الثالثة ». قال : فإن عمك أفتاني بكيت وكيت . فقال : « يا عم اتق الله ولا تفت في الأمة من هو أعلم منك » .

فقام إليه صاحب المسألة الثانية ، فقال له : يا ابن رسول الله ، ما تقول في رجل أتى بهيمة ؟ فقال : « يُعزَّر ، ويُحمى ظهر البهيمة ، وتُخرج من البلد حتى لا يبقى على الرجل عارها ». فقال : إن عمك أفتاني بكيت وكيت . فالتفت وقال بأعلى صوته : « لا إله إلا الله ، يا عبدالله ! إنه عظيم عند الله أن تقف غداً بين يدي الله فيقول لك ، لم أفتيت عبادي بما لا تعلم وفي الأمة من هو أعلم منك ؟ » .

فقال عبدالله بن موسى : رأيت أخي الرضا وقد أجاب في هذه المسألة بهذا الجواب .

فقال أبو جعفر عليه السلام : « إنما سئل الرضا عن نباش نبش قبر امرأة ففجر بها ، وأخذ ثيابها ، فأمر بقطعه للسرقة ، وجلده للزنا ، ونفيه للمثلة ». ففرح القوم ، ودعوا له وأثنوا عليه ^(٣) .

(١) القبال : سير من الجلد طويل يربط على الرجل لشدّ النعال .

(٢) سورة البقرة : ٢ / ٢٢٩ .

(٣) النص أخذناه عن عيون المعجزات : ١٢٢ — ١٢٣ . وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ٩٩ / ١٢ . والزيادات فيه

نعم ، فرح القوم لِمَا عرفوا من أن الإمامة حقاً متعيّنة في هذا الفتيّ المستوعب للفقهاء.. الحاضر الجواب.. العارف بإجابة أيّيه ، وقد تركه أبوه طفلاً صغيراً في الخامسة من عمره..

وجاء في العديد من المصادر أن القوم سألوه في مجلس واحد عن ثلاثين ألف مسألة^(١) ، ووجدنا أن البعض أخذ يلتمس وجوهاً لتبرير عدم معقولية مثل هذا العدد الهائل من المسائل في مجلس واحد^(٢). وهو أمر غير معقول طبعاً ، اللهمّ إلّا أن يستمر انعقاد المجلس لعدة أيام أو يُخفّض العدد إلى الثلاثين. والمرجح — وإلى هذا الرأي ذهب آخرون — أن (الألف) زيادة من النسّاخ ، فإنّ الفيض الكاشاني ؛ نقل الخبر في المحجة البيضاء وليس فيه كلمة (ألف)^(٣).

من ثمّ — وبعد استتباب الأوضاع الأمنية داخلياً — بدأ يتتاهى إلى سمع الدولة في بغداد ، احتفاء الناس بالإمام وانبهارهم بعلومه على صغر سنه. ونظراً لأنّ اللعبة السياسية لم تنته بعد. فغياب نجم الإمام الرضا عليه السلام ، برز نجم آخر لمع في دنيا الإسلام ، أخذ يستقطب إليه الأمة شيئاً فشيئاً بمجاذبية يندر وجودها في أكابر الشخصيات العلمية أو السياسية.

إذن فمشكلة الإمامة — بالنسبة للسلطة العباسية — واستقطاب جماهير

أوردناها عن رواية الطبري في دلائل الإمامة : ٣٨٨ — ٣٩٠. وراجع : اختصاص الشيخ المفيد :

١٠٢ طبع قم. ومناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٢ — ٣٨٣.

(١) أصول الكافي ١ : ٤٩٦ / ٧.

(٢) راجع : بحار الأنوار ٥٠ : ٩٣.

(٣) راجع : المحجة البيضاء ٤ : ٣٠٦؛ لكنه في كتاب الوافي ٣ : ٨٣٠ / ١٤٤٠ أورد الخبر نفسه عن أصول الكافي وفيه ثلاثون ألف مسألة ولم يعلّق عليه.

٤٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام
الأمّة لم تنزل قائمة إلى الآن ، وفصول المسلسل (الدرامي) الذي لم ينته
بانتهاء الإمام الرضا عليه السلام .. يجب أن يُعالج هذه المرة بأسلوب أهدأ.. وطريقة
طبيعية تُسقط الإمام والإمامة من أعين الناس ، دون استخدام العنف أو
التصفية الجسدية..

فلقد سعى' المأمون الداهية المتآمر ، وهو أعظم خلفاء بني العباس
خطراً... وأكثرهم علماً.. وأبعدهم نظراً.. وأشدهم مكرراً.. وأخفاهم مكيدة..
سعى' هو وحاشيته إلى الالتفاف على' الإمام أبي جعفر عليه السلام بالمكر والتحايل ؛
لقتله وهو ما يزال حيّاً ، وذلك بإسقاطه في أعين الناس ، وكذا فعل
المعتصم. ففي إحدى' المرات وصل بهم خبث السريرة إلى' أنهم أرادوا
إيثاق الإمام وسقيه خمراً إلى' حدّ الإسكار ، ثم إخراجهم إلى' الناس على' تلك
الحالة مضمّخاً بخلوق الملوك. لكنّ كيدهم لم يتم بإذن الله تعالى' ، إذ منعهم
المأمون من ذلك قبل تنفيذ خطتهم ، حيث خاف عواقب هذا الفعل الشنيع ،
قائلاً لهم : لا تؤذوا أبا جعفر..^(١)

كما احتال المأمون على' أبي جعفر عليه السلام بكل حيلة فلم يمكنه فيه شيء ،
فلمّا اعتل وأراد أن يزفّ إليه ابنته ، قال محمد بن الرّيان : (دفع إلى' مئة^(٢)
وصيفة من أجمل ما يكون ، إلى' كل واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر يستقبلن أبا
جعفر عليه السلام إذا قعد في موضع الأختان. فلم يلتفت إليهنّ ، وكان رجل يقال له
« مخارق » صاحب صوت وعود وضرب ، طويل اللحية ، فدعاه المأمون.
فقال : يا أمير المؤمنين إن كان في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره ، فقعد

(١) راجع : اختيار معرفة الرجال : ٥٦٠ / ١٠٥٨ ترجمة محمد بن أحمد بن حماد الحمودي.

(٢) في الكافي : مئتي. وما أثبتناه عن ابن شهر آشوب والعلامة المجلسي.

بين يدي أبي جعفر عليّ عليه السلام ، فشهو مخارق شهقة اجتمع عليه أهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويغني ، فلما فعل ساعة وإذا أبو جعفر لا يلتفت إليه لا يمينا ولا شمالاً ، ثم رفع رأسه وقال : « اتق الله ياذا العشون ! » ، قال : فسقط المضرب من يده والعود فلم ينتفع بيديه إلى أن مات ، قال : فسأله المأمون عن حاله ، قال : لما صاح بي أبو جعفر ، فزعت فزعة لا أفيق منها أبداً (١).

وعلى كل حال ، فقد أرسل المأمون إلى محمد بن عبد الملك الزيات يوصيه بحمل أبي جعفر من المدينة إلى بغداد على أحسن محمل ، وأن لا يُعجل بهم السير ، ويريحهم في المنازل. فيكلف ابن الزيات الحسن بن علي بن يقطين ؛ لمزلته ومزلة أبيه من الأئمة عليهم السلام والخلفاء والأمراء معاً. بأن يرافق أبا جعفر وأهله وعياله في سفرهم.

ويظعن الرجل مودعاً المدينة المنورة ، متجهاً صوب بغداد. وينسى الخليفة أو يتناسى قدوم الوفد المدني ، فلقد ألهته ليالي الأنايس.. وأيام الصيد ، السؤال عن القادمين من المدينة أو أنه فعلاً تناسى أمرهم ، وهي عادة الملوك في استصغار من سواهم ، وأراد أن يلتقي بأبي جعفر بشكل غير علني ، إما حياءً من البيت الهاشمي لما أحلّه بأبيهم الرضا عليّ عليه السلام قبل عهد قريب ، وإما أنفة واستعلاءً منه — وهو أمير المؤمنين المسيطر على الآفاق شرقاً وغرباً — أن يلتقي بحدث صغير لم يبلغ الحلم. فلم يكن المأمون قد وقف بعد على علم الإمام الجواد عليّ عليه السلام ونبوغته المذهل. أو إنه لم يكن هذا ولا ذاك ، إنما أراد أن يستريح القادمون لبضعة أيام من وعشاء السفر ، ثم يستدعي إليه التقى عليّ عليه السلام ليتعرف أخباره.

(١) أصول الكافي ١ : ٤٩٤ / ٤ . وعنه مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٩٦ .

وذكرت الأخبار أن المأمون خرج يوماً في نزهة للصيد ، فاجتاز بطرق البلد. ولعلّه كان قاصداً لاختيار هذا الطريق ، فقد علم قبل ذلك أين نزل الوافدون.. وعلم أيضاً من هم؟!

وهكذا كان.. فقد تم (اللقاء الأول) في الطريق على ما ينقله المؤرخون ، ويمكن أن يكون الإمام الجواد عليه السلام هو الذي سعى لأن يلتقيه المأمون في هذا المكان. فلسان الرواية يقول : اجتاز — المأمون — بطرف البلد ، وثم صبيان يلعبون ، ومحمد الجواد عليه السلام واقف عندهم.. فالإمام عليه السلام ليس من شأنه الوقوف على قارعة الطريق أو التفرج على ملاعب الصبيان لقضاء الوقت ، ولا عُرف عن الأئمة أنهم كانوا يلعبون ويلهون في الطرقات مع أقرانهم في أيام طفولتهم ، فهم أجلّ وأسمى من أن يصرفوا أوقاتهم في اللعب أو اللهو ؛ لأنّ الإمام عليه السلام متعين عليه هداية الأمة وبنائها فكرياً واجتماعياً ، وقيادتها نحو إرساء قواعد الشريعة بما يحقق حكومة الله في الأرض.

فالإمام عليه السلام لا يلهو ولا يلعب ^(١) قط منذ طفولته ، فقد روي عن علي بن حسان الواسطي أنّه كان ممن خرج مع الجماعة ^(٢) ، وهم ثمانون عالماً

(١) وردت أحاديث كثيرة في هذا الشأن منها ، ما رواه الكليني بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام في معرض بيانه علائم الإمام المعصوم فقال : « طهارة الولادة ، وحسن النشأ ، ولا يلهو ولا يلعب ». وروى صفوان الجمال عن الإمام الصادق عليه السلام في صفات الإمام ، فقال عليه السلام : « صاحب هذا الأمر لا يلهو ولا يلعب ».

وما تعرّض له أمير المؤمنين علي عليه السلام من خصائص وعلامات الإمام المعصوم ، فقال : « والإمام المستحق للإمامة له علامات فمنها : أن يعلم أنّه معصوم من الذنوب كلّها صغيرها وكبيرها ، لا يزلّ في الفتيا ، ولا يحطّئ في الجواب ، ولا يسهو ، ولا ينسى ، ولا يلهو بشيء من أمر الدنيا ». راجع : مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣١٧. وبحار الأنوار ٢٥ : ١٦٤.

(٢) إثبات الوصية : ١٨٨. ودلائل الإمامة : ٤٠٢ / ٣٦٠.

الفصل الثاني : الحالة السياسية في عصر الإمام عليّ عليه السلام ٥١
اجتمعوا في موسم عام (٢٠٣ هـ) من مختلف الأقطار ، والتقوا في المدينة المنورة لمعرفة من هو المتعين للإمامة بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام .

قال علي بن حسان : حملت معي إليه عليّ عليه السلام من الآلة التي للصبيان ، بعضها من فضة ، وقلت : أتخف مولاي أبا جعفر بها . فلما تفرّق الناس عنه بعد جواب الجميع قام فمضى إلى صريّا وأتبعته ، فلقيت موفّقاً ، فقلت : استأذن لي عليّ أبي جعفر ، فدخلتُ فسلمت ، فردّ عليّ السلام وفي وجهه كراهة ، ولم يأمرني بالجلوس ، فدنوت منه وفرّغت ما كان في كمي بين يديه ، فنظر إليّ نظر مغضب ، ثم رمى يميناً وشمالاً ، ثم قال : « ما لهذا خلقي الله ، ما أنا واللعب؟! » فاستعفيتّه ، فعفا عني ، فأخذتها وخرجت (١) .

إذن ، يبدو أن الإمام أبا جعفر عليه السلام استغل فرصة خروج المأمون ومروره بالقرب من منازلهم ، فوقف بإزاء صبيان يلعبون في الطريق ؛ ليتم هنالك اللقاء.. وخبر هذا اللقاء ينقله لنا ابن شهر آشوب ، وابن الصباغ المالكي ، والمحدّث الشيخ عباس القمي ، وغيرهم . ونحن ننقل نصّ رواية ابن شهر آشوب حيث قال : اجتاز المأمون بابن الرضا عليه السلام وهو بين صبيان يلعبون ، فهربوا سواه ، فقال : عليّ به ، فقال له : مالك ما هربت في جملة الصبيان ؟ قال عليه السلام : « مالي ذنب فأفرّ ، ولا الطريق ضيق فأوسعه عليك ، تمرّ من حيث شئت ، فقال : من تكون ؟

قال : أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليه السلام .

فقال : ما تعرف من العلوم ؟ قال : سلني عن أخبار السموات .» فودّعه

(١) المصدر السابق نفسه.

ومضى ، وعلى يده باز أشهب يطلب به الصيد. فلما بعد عنه نهض عن يده الباز فنظر يمينه وشماله لم ير صيداً ، والباز يثب عن يده ، فأرسله وطار يطلب الأفق حتى غاب عن ناظره ساعة ثم عاد إليه وقد صاد حية ، فوضع الحية في بيت الطعام ، وقال لأصحابه : قد دنا حتف ذلك الصبي في هذا اليوم على يدي ، ثم عاد وابن الرضا في جملة الصبيان.

فقال : ما عندك من أخبار السموات ؟

فقال : « نعم يا أمير المؤمنين ، حدثني أبي ، عن آبائه ، عن النبي ، عن جبرئيل ، عن رب العالمين ، أنه قال : بين السماء والهواء بحر عجاج يتلاطم به الأمواج ، فيه حيات خضر البطون ، رقط الظهور ، ويصيدها الملوك باليزاة الشهب يمتحن بها العلماء ».

فقال : صدقت ، وصدق أبؤك ، وصدق جدك ، وصدق ربك. فأركبه ثم زوجه أم الفضل ^(١).

بعد ذلك اللقاء والحوار الحاسمين أدرك المأمون عظمة هذا الصبي ، وبُعد شأوه.. فاصطحبه معه إلى قصوره حيث الرفاه ونعومة العيش وطرارة الحياة باستبرقها وجواربها وقياها.. لكن الخليفة علم أن الصبي لا تستهويه فخامة الخدمة ، وأبهة الملوك كثيراً ، ولم يستترع انتباهه الجمال الفاتن لحظة.. فقرر — وفي مناورة سياسية حاذقة — اصطلياد ثلاثة في رمية واحدة ، ورميته هي أن يزوجه من ابنته الجميلة الصغيرة (زينب) المكناة بأم الفضل ،

(١) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٨ — ٣٨٩. أما رواية ابن الصباغ في الفصول المهمة : ٢٥٢ ، والشهيد المحدث القمي في منتهى الآمال ٢ : ٥٢٧ — ٥٢٨ عن مستدرک العوالم ٢٣ : ٥٢٢. وبحار الأنوار ٥٠ : ٥٦ فهي تختلف عن هذه في بعض أحداثها ، فراجع.

ولا فضل لها. خاصة وهي مسمّاة له منذ سنوات خمس. أمّا صيده الذي توخّى إصابته ، فقد حسب :

أولاً : أنه سيصرف الإمام الصبي اليافع إلى ملاذ الحياة ، وتنتشي نفسه بقرب النساء ، وسوف يشغفن قلبه شيئاً فشيئاً فيصبو إليهنّ.

وثانياً : أراد أن يجعل من ابنته وخدمها رقيباً دائماً على كل حركة للإمام ، وعلى من يتصل به من الشيعة ، ثم إنه أسكنه بالقرب منه كي يحد من اتصال الناس به ؛ لأنّ القصور الملكية لا يتيسر لكل أحد أن يدخلها ، ولا دخولها بالأمر اليسير.

والهدف الأخير الذي حاول إصابته هو أن يجعل من نفسه قريباً من البيت العلوي ، فهو عمّ ولداهم الإمام الجواد عليّ اليوم ، والأب الأكبر (جدّ) لصبيهم غداً الذي هو ابن رسول الله ، وهذا مكسب سياسي واجتماعي مهم جداً. وفيما لو أصابت رمياته الثلاث هذه فسوف يكتم أفواه الطالبين ، ويقطع أي قيام أو تحرك لهم ، وهو العالم المتيقن بأنهم أحق بالخلافة من أي إنسان على هذه الأرض.

وبناءً على تحقيق هذه الأغراض وغيرها مما كان يدور في رأس المأمون ، خطى خطوته الأولى وقرر من جانب واحد أن يتم الزواج والاقتران مهما يكن من أمر ، ورغم كل المعترضين ، ولا موافق لهذا الزواج سواه.

ثم يأتي دور المعتصم الذي لم يكن أرأف بالإمام خاصة ، والعلويين عامّة من أخيه المأمون ، فقد احتال هو الآخر على الإمام الجواد عليّ للوقعة به ، وإيجاد مرر لسجنه ثم قتله ، بأن اتهمه بجمع السلاح ، وأنه يريد الثورة

عليه ، وأشهد بذلك عليه شاهدين حلفا زوراً وكذباً أنهما رأيا السلاح يُجمع. لكنّ الإمام عليه السلام تخلّص من هذا الموقف بأن أراهم معجزة أربهم بها ، فخاف المعتصم سوء العاقبة فتركه لسبيله دون أن يتعرّض له مضراً عليه حقداً دفيناً^(١).

أحداث الزواج ومراسيم عقد القران :

عند مطالعة تاريخ الإمام الجواد عليه السلام تشعر أن أحداثه مقتضبة يشوبها الغموض في العديد من جنياته ومنعطفاته الحساسة ، كما يراودك إحساس بأن هناك أموراً وأحداثاً قد خفيت من صفحة التاريخ ، أو أنها أخفيت تعمداً وحسداً وحقداً طوراً ، وخوفاً من سياط السلطان وبطشه طوراً آخر.

أحدها هو حدث زواج الإمام ، وهو المنعطف المهم والخطير بالنسبة للبيتين العلوي والعباسي ، لم يُورّخ بدقة وتفصيل بحيث يقف القارئ — من خلال مطالعته — على حقائق هذه المرحلة المهمة من حياة الإمام المباركة أو على الأقل أن يلمّ ببعض تلك الحقائق التي بقيت خفية حبيسة الكتمان ؛ لأنّ الحياة القصيرة للإمام أبي جعفر عليه السلام لم تكن طبيعية أبداً في مختلف مقاطعها الزمنية.

وعلى أي حال ، فمن خلال استقراء مراجع ومصادر ترجمة الإمام الجواد عليه السلام الخاصة والعامّة نستظهر أن الزواج تمّ على ثلاث مراحل (التسمية ، عقد القران ، الزواج) ، وكل واحدة تمت في فترة زمنية متباعدة نسبياً عن الأخرى.

ففي عام (٢٠١ هـ) وفي مراسم تنصيب الإمام الرضا عليّ (ع) لولاية العهد — في رمضان — وتكريماً للإمام ظاهرياً ، فقد عقد له المأمون عليّ ابنته ، وقيل : اخته أم حبيبة في نفس تلك الليلة ، وسمّى ابنته الصغيرة الأخرى لأبي جعفر أيضاً زيادة في التكريم والاجلال ؛ لكنّه كان يضم وراء هذا الزواج دوافع سياسية واجتماعية عديدة.

أما عقد القران الفخم والمجّلل والذي تحدّث عنه أغلب الرواة والمؤرخين عليّ أنّه حدث الزواج ، فقد كان في عام (٢٠٥ هـ) بعد قدوم الإمام من المدينة إلى بغداد للمرة الأولى ، وكان يومها ابن تسع سنين ونصف السنة أو نحوها ، واستمر الحفل ليومين. صرف خلاله المأمون عليّ ابنته ملايين الدراهم وزعها بدمراً وإقطاعات وجواهرًا وثياباً عليّ قواده ووزرائه وحاشيته ومدعوّيه^(١).

أما عن حدث الزواج الذي لم يكن اختياريّاً ، بل يظهر من القرائن أنّ الإمام الجواد عليّ كان مجبراً عليّ القدوم إلى بغداد ثانية مع زوجته أم الفضل ؛ للدخول بها بأمر من أبيها ، رغم استعدادات المأمون الهائلة للخروج إلى حرب الروم.

وفعلاً فقد كانت طلائع جيشه قد خرجت أمامه تغذ الخطى نحو بلاد الروم ، ويتبعها المأمون صاعداً مع دجلة بكتائبه الخاصة حتى إذا عسكر بتكريت ، قدم عليه الإمام الجواد عليّ في صفر من عام (٢١٥ هـ) والتقاءهما ،

(١) الإرشاد ٢ : ٢٨١. وتحف العقول : ٤٥١. ومناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٤ : ٣٨١. وإعلام الوري : ٣٥١. والاختصاص : ٩٨. وروضة الواعظين : ٢٣٨. والإتحاف بحب الأشراف / الشراوي : ١٧١. والصواعق المحرقة : ٢٠٤. والفصول المهمة / ابن الصباغ المالكي : ٢٥٣.

فأمر المأمون أبا جعفر عليه السلام أن يدخل بأمر الفضل من فوره بعد أن هُيئت له دار أحمد بن يوسف — من أعوان المأمون — التي على شاطئ دجلة ، فأقام بها مدة لا تقل عن تسعة أشهر ، فلما كان أيام الحج ، خرج بأهله وعياله حتى أتى مكة ، ثم منزله بالمدينة ، فأقام بها ^(١).

كما أن قرائن أخرى تشير إلى أن هناك مشكلة زوجية كانت قائمة بين الإمام وزوجه أم الفضل ، كان المأمون — على ما يبدو — قد وعد ابنته الشابة المراهقة على حلها ؛ لكثرة ما كانت تكتب من رسائل إلى أبيها شارحة فيها حظها العاثر ^(٢) ، وتفضيل الجواري والسراري عليها ، بل وكانت تدعو على أبيها على هذا الزواج غير الموفق ^(٣) ؛ لأنها حسب الظاهر لم تكن تصلح لأن تكون حليمة للإمام عليه السلام وأماً لأولاده ، وهي كذلك بالفعل.

فقد لمس البيت المأموني الوضع الكئيب لابنتهم ، وأصبح الأمر يقلقهم كثيراً ، بل إن المأمون ما زوج ابنته من أبي جعفر عليه السلام إلا ليستولدها منه ، ويكون جداً لأحد أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مما يقوِّي مركزه السياسي في الحكم ، كما صرح هو بذلك حين أفصح عن أحد الدواعي التي دفعته إلى هذا التزويج ، وهو السياسي المحتك الذي ينظر إلى مدى أبعاد مما ينظره غيره ، فقال : (إني أحببت أن أكون جداً لامرئٍ ولده رسول الله ، وعليّ بن أبي طالب) ^(٤) ؛ ولهذا السبب وحده كان هذا الاستدعاء المفاجئ والعاجل ،

(١) تاريخ الطبري ٨ : ٦٢٣ .

(٢) راجع : الارشاد ٢ : ٢٨٨ . ومناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٢ . والفصول المهمة : ٢٧٠ . وبحار الأنوار ٥٠ : ٧٩ / ٥ .

(٣) مشارق أنوار اليقين / المحافظ البرسي : ٩٨ .

(٤) تاريخ يعقوبي ٢ : ٤٥٤ ، الطبعة السادسة — دار صادر — بيروت ١٤١٥ هـ .

والثول بين يدي المأمون ثم (الأمر) بالدخول بالفتاة. ولا ريب أن الإمام كان عارفاً بالنوايا ؛ لذا فقد كان يُفشل خططهم بطرقه الخاصة وهم لا يشعرون.

وهنا نشير إلى ما أورده محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي في (دلائل الإمامة) بقوله : (ومكث أبو جعفر مستخفياً بالإمامة ، فلما صار له ست عشرة سنة ، وجه المأمون من حملة إليه ، وأنزله بالقرب من داره ، وعزم على تزويجه ابنته..) (١).

ويبدو أن في عبارة الطبري بعض الارتباك والتصحيح ، حيث نقل المسعودي رواية قدوم وفد علماء بغداد إلى المدينة وسؤالهم الجواد عليه السلام وكان مع الوفد علي بن حسان الواسطي المعروف بالأعمش (٢) الذي حمل معه تحفاً وبعض اللعب الفضية مما كان يلهو به صبية بغداد في ذلك الوقت ، ظناً منه أن أبا جعفر عليه السلام سوف يُسرُّ بها ؛ لكن الإمام عليه السلام نهره بغضب ، وبدا على وجهه عدم الارتياح ، لما وضعها أمامه ، وردّ عليه بما قدّمناه في الحديث آنفاً.

ثم في نهاية الخبر ذكر المسعودي عبارة علي بن حسان بقوله : وخرجت ومعها تلك الآلات. وبقي أبو جعفر عليه السلام مستخفياً بالإمامة إلى أن صارت سنّه عشر سنين. إلى هنا ينتهي خبر الواسطي في إثبات الوصية ، ثم أتبعه المسعودي برواية إخبار الجواد عليه السلام جاريتهم بمضي والده في

(١) دلائل الإمامة : ٣٩١ / ٣٤٥ ، مؤسسة البعثة ، الطبعة الحففة ١٤١٢ هـ.

(٢) في رجال النجاشي : ١٩٧ ، المنس ، طبعة مكتبة الداوري — قم ١٣٩٧ هـ ، وفي بعض المصادر الأخرى : العيش.

خراسان.. ثم أتبع الرواية مباشرة بقوله : ثم وجّه المأمون فحمله وأنزله بالقرب من داره وأجمع على أن يزوجه ابنته...

فإنك ترى هنا أن عبارة المسعودي : إلى أن صارت سنّته عشر سنين. أصبحت عند الطبري في الدلائل : صار له ست عشرة سنة. هذا ما أردنا الإشارة إليه ، فلاحظ.

وعقد القران الذي تميّز بحدث المناظرة المهم والخطير ، ولعلّه يُعد من أهم أحداث حياة الإمام الجواد عليه السلام ؛ لكثرة من كان قد حضر في ذلك المجلس من عامة الناس وخاصتهم ، فقد تناقله المحدثون والمؤرخون بما رافقه من حوادث أخرى بشيء من التفصيل.

فالحدث أورده علي بن الحسين المسعودي ^(١) ، والشّيخ المفيد ^(٢) كلّ بسنده عن الريان بن شبّيب ، قال : لما أراد المأمون أن يزوّج ابنته أم الفضل أبا جعفر محمد بن علي عليه السلام بلغ ذلك العباسيين فغلظ عليهم واستكبروه ، وخافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما انتهى مع الرضا عليه السلام ، فخاضوا في ذلك.

واجتمع منهم أهل بيته الأذنون منه ، فقالوا له : نشدك الله يا أمير المؤمنين أن تقيم على هذا الأمر الذي قد عزمته عليه من تزويج ابن الرضا ، فإننا نخاف أن يخرج به عنّا أمر قد ملكناه الله ، ويُترع منا عزٌّ قد لبسناه الله ، وقد عرفت ما بيننا وبين هؤلاء القوم ، آل أبي طالب ، قديماً وحديثاً ، وما كان عليه الخلفاء الراشدون قبلك من تبيدهم والتصغير بهم ، وقد كنا في وهلة من عملك مع الرضا ما عملت ، حتّى كفانا الله المهم من ذلك ، فالله الله أن

(١) إثبات الوصية : ١٨٩ ، طبعة النجف الأشرف.

(٢) الإرشاد ٢ : ٢٨١ — ٢٨٨.

تردّنا إلى غمٍّ قد انحسر عنا ، واصرف رأيك عن ابن الرضا واعدل إلى من تراه من أهل بيتك يصلح لذلك دون غيره.

فقال لهم المأمون : أمّا ما بينكم وبين آل أبي طالب فأنتم السبب فيه ، ولو أنصفتم القوم لكان أولى بكم ، وأمّا ما كان يفعله من كان قبلي بهم فقد كان قاطعاً للرحم ، أعوذ بالله من ذلك ، ووالله ما ندمتُ على ما كان منّي من استخلاف الرضا ، ولقد سألتُه أن يقوم بالأمر وانزعهُ عن نفسي فأبى ، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً ، وأمّا أبو جعفر محمد بن عليّ فقد اخترّته لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه ، والأعجوبة فيه بذلك ، وأنا أرجو أن يظهر للناس ما قد عرفته منه فيعلموا أن الرأي مارأيتُ فيه.

فقالوا : إنّ هذا الصبيّ وإن راقك منه هديه ، فإنّه صبيٌّ لا معرفة له ولا فقه ، فأمهله ليتأدّب ويتفقه في الدين ، ثم اصنع ما تراه بعد ذلك.

فقال لهم : ويحكم إليّ أعرفُ بهذا الفتى منكم ، وإن هذا من أهل بيت علمهم من الله ومواده وإلهامه ، لم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن الرعايا الناقصة عن حدّ الكمال ، فان شئتم فامتحنوا أبا جعفر بما يتبيّن لكم به ما وصفتُ من حاله.

قالوا له : قد رضينا لك يا أمير المؤمنين ولأنفسنا بامتحانه ، فحلّ بيننا وبينه لتنصب من يسأله بحضرتك عن شيء من فقه الشريعة ، فإن أصاب في الجواب عنه ، لم يكن لنا اعتراض في أمره ، وظهر للخاصة والعامّة سديد رأي أمير المؤمنين ، وإن عجز عن ذلك فقد كُفينا الخطبَ في معناه.

فقال لهم المأمون : شأنكم وذاك متى أردتُم. فخرجوا من عنده وأجمع رأيهم على مسألة يحيى بن أكثم ، وهو يومئذٍ قاضي القضاة على أن يسأله

٦٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام
مسألة لا يعرف الجواب فيها ، ووعده بأموال نفيسة على ذلك ، وعادوا إلى
المأمون فسألوه أن يختار لهم يوماً للاجتماع ، فأجابهم إلى ذلك.

واجتمعوا في اليوم الذي اتفقوا عليه ، وحضر معهم يحيى بن أكثم ، وأمر
المأمون أن يفرش لأبي جعفر عليه السلام دَسْتٌ^(١) ، وَثَجَعَلْ لَهُ فِيهِ مِسْوَرَتَانِ^(٢) ،
فَفَعَلَ ذَلِكَ ، وخرج أبو جعفر عليه السلام وهو يومئذ ابنُ تسع سنين وأشهر ، فجلسَ
بين المسوركتين ، وجلس يحيى بن أكثم بين يديه ، وقام الناس في مراتبهم
والمأمون جالسٌ في دَسْتٍ مُتَّصِلٍ بِدَسْتِ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام .

فقال يحيى بن أكثم للمأمون : يا أذن لي أمير المؤمنين أن أسأل أبا جعفر ؟
فقال له المأمون : استأذنه في ذلك ، فأقبل عليه يحيى بن أكثم فقال : أتأذن لي
— جعلت فداك — في مسألة ؟ فقال له أبو جعفر عليه السلام : « سَلْ إِنْ شِئْتَ » قال يحيى
: ما تقول — جُعِلْتُ فداك — في مُحْرَمٍ قَتَلَ صَيْدًا ؟

فقال له أبو جعفر عليه السلام : « قَتَلَهُ فِي حِلٍّ أَوْ حَرَمٍ ؟ عَالِمًا كَانَ الْمُحْرَمِ أَمْ
جَاهِلًا ؟ قَتَلَهُ عَمْدًا أَوْ خَطَأً ؟ حُرًّا كَانَ الْمُحْرَمِ أَمْ عَبْدًا ؟ صَغِيرًا كَانَ أَمْ كَبِيرًا ؟
مُبْتَدَأً بِالْقَتْلِ أَمْ مُعِيدًا ؟ مِنْ ذَوَاتِ الطَّيْرِ كَانَ الصَّيْدُ أَمْ مِنْ غَيْرِهَا ؟ مِنْ صَغَارِ
الصَّيْدِ كَانَ أَمْ كِبَارِهَا ؟ مُصِرًّا عَلَى مَا فَعَلَ أَوْ نَادِمًا ؟ فِي اللَّيْلِ كَانَ قَتْلُهُ لِلصَّيْدِ أَمْ
نَهَارًا ؟ مُحْرَمًا كَانَ بِالْعُمُرَةِ إِذْ قَتَلَهُ أَوْ بِالْحَجِّ كَانَ مُحْرَمًا ؟ » .

فتحير يحيى بن أكثم وبنان في وجهه العجز والانقطاع وبللج حتى
عرف جماعة أهل المجلس أمره ، فقال المأمون : الحمد لله على هذه النعمة
والتوفيق لي في الرأي ، ثم نظر إلى أهل بيته وقال لهم : أعرفتم الآن ما كنتم

(١) جانب من البيت ، وهي فارسية معربة.

(٢) المسورة : متكأ من آدم.

ثم أقبل على أبي جعفر عليّ فقال له : أتخطب يا أبا جعفر ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين » فقال له المؤمنون : أخطب ، جعلت فداك لنفسك ، فقد رضيتك لنفسي وأنا مزوجك أم الفضل ابنتي وإن رغم قومٌ لذلك .

فقال أبو جعفر عليّ : « الحمد لله إقراراً بنعمته ، ولا إله إلا الله إخلاصاً لوحدانتيه ، وصلى الله على محمد سيّد برّيته والأصفياء من عترته .

أما بعد : فقد كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام ، فقال سبحانه : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْزِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ (١) . ثم إن محمد بن علي بن موسى يخطب أم الفضل بنت عبد الله المؤمنون ، وقد بذل لها من الصداق مهر جدته فاطمة بنت محمد عليّ وهو خمسمائة درهم جياذ ، فهل زوجه يا أمير المؤمنين بما عليّ هذا الصداق المذكور ؟ » .

قال المؤمنون : نعم ، قد زوجتكم أبا جعفر أم الفضل ابنتي عليّ هذا الصداق المذكور ، فهل قبلت النكاح ؟ قال أبو جعفر عليّ : « قد قبلت ذلك ورضيت به » . فأمر المؤمنون أن يقعد الناس على مراتبهم في الخاصة والعامة .

قال الريان : ولم نلبث أن سمعنا أصواتاً تُشبهه أصوات الملاحين في محاوراتهم ، فإذا الخدم يجرون سفينةً مصنوعةً من فضّةٍ مشدودة بالحبال من الإبريسم على عجلٍ مملوءة من الغالية (٢) ، فأمر المؤمنون أن تُخضّب

(١) سورة النور : ٢٤ / ٣٢ .

(٢) الغالية : ضرب من الطيب مركب من مسكٍ وعنبرٍ وكافورٍ ودهن البان وعود .

لحى الخاصة من تلك الغالية ، ثم مُدَّت إلى دار العامّة فطَيَّبُوا منها ، ووضعت الموائد فأكل الناس ، وخرجت الجوائز إلى كلِّ قوم على قدرهم ، فلما تفرَّق الناس وبقي من الخاصة من بقي ، قال المأمون لأبي جعفر : إن رأيت — جُعلت فداك — أن تذكر الفقه فيما فصَّلته من وجوه قتلِ المحرِّمِ الصيد لنعلمه ونستفيده.

فقال أبو جعفر عليه السلام : « نعم ، إنَّ المحرِّم إذا قتلَ صيداً في الحلِّ وكان الصيدُ من ذوات الطير وكان من كبارها فعليه شاةٌ ، فإن كان أصابه في الحرم فعليه الجزاءُ مضاعفاً ، وإذا قتلَ فرحاً في الحلِّ فعليه حملٌ قد فطم من اللبن ، وإذا قتله في الحرم فعليه الحملُ وقيمةُ الفرخ ، وإن كان من الوحش وكان حمار وحش فعليه بقرةٌ ، وإن كان نعامة فعليه بدنةٌ ، وإن كان ظبياً فعليه شاةٌ ، فإن قتل شيئاً من ذلك في الحرم فعليه الجزاءُ مضاعفاً هدياً بالغ الكعبة ، وإذا أصاب المحرم ما يجب عليه الهدي فيه وكان إحرامه للحجِّ نَحَرَه بمعنى ، وإن كان إحرامه للعمرة نَحَرَه بمكَّة. وجزاءُ الصيد على العالم والجاهل سواء ، وفي العمد له المأثم ، وهو موضوع عنه في الخطأ ، والكفارة على الحرِّ في نفسه ، وعلى السيد في عبده ، والصغير لا كفارة عليه ، وهي على الكبير واجبةٌ ، والنادم يسقط بندمه عنه عقاب الآخرة ، والمصرُّ يجب عليه العقابُ في الآخرة .»

فقال له المأمون : أحسنت — أبا جعفر — أحسن الله إليك ، فإن رأيت أن تسأل يحيى عن مسألة كما سألك. فقال أبو جعفر ليحيى : « أسألك ؟ ». قال : ذلك إليك — جُعلت فداك — فإن عرفت جواب ما تسألني عنه وإلا استفدته منك.

فقال له أبو جعفر عليه السلام : « خَبَّرني عن رجل نظرَ إلى امرأةٍ في أول النهار فكان

نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار حلّت له ، فلما زالت الشمس حرمت عليه ، فلما كان وقت العصر حلّت له ، فلما غربت الشمس حرمت عليه ، فلما دخل عليه وقت العشاء الآخرة حلّت له ، فلما كان انتصاف الليل حرمت عليه ، فلما طلع الفجر حلّت له ، ما حال هذه المرأة وبماذا حلّت له وحرمت عليه ؟ ».

فقال له يحيى بن أكثم : لا والله ما أهتدي إلى جواب هذا السؤال ، ولا أعرف الوجه فيه ، فإن رأيت أن تفيدناه.

فقال له أبو جعفر عليه السلام : « هذه أمة لرجلٍ من الناس نظر إليها أجنبيٌّ في أول النهار فكان نظره إليها حراماً عليه ، فلما ارتفع النهار ابتاعها من مولاهما فحلّت له ، فلما كان الظهر أعتقها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العصر تزوجها فحلّت له ، فلما كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه ، فلما كان وقت العشاء الآخرة كَفَّرَ عن الظَّهَارِ فحلّت له ، فلما كان نصف الليل طلقها واحدة فحرمت عليه ، فلما كان عند الفجر راجعها فحلّت له ».

قال : فأقبل المأمون عليّ من حضره من أهل بيته فقال لهم : هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسألة بمثل هذا الجواب ، أو يعرف القول فيما تقدم من السؤال؟! قالوا : لا والله ، إن أمير المؤمنين أعلم وما رأى!

فقال لهم : وبحكم ، إن أهل هذا البيت خصُّوا من الخلق بما ترون من الفضل ، وإنَّ صغر السنِّ فيهم لا يمنعهم من الكمال ، أما علمتم أن رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو ابن عشر سنين ، وقبل منه الإسلام وحكم له به ، ولم يدع أحداً في سنِّه غيره. وباع الحسن والحسين عليهما السلام وهما ابناه دون الستِّ سنين ولم يباع صبيّاً غيرهما ، أفلا تعلمون الآن ما احتصَّ الله به هؤلاء القوم ، وأنهم ذرّيّةٌ بعضها

من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأولهم؟! قالوا : صدقت يا أمير المؤمنين ، ثم نهض القوم.

فلما كان من الغد احضر الناس ، وحضر أبو جعفر عليه السلام ، وصار القواد والحجاب والخاصة والعمال لتهنئة المأمون وأبي جعفر عليه السلام ، فأخرجت ثلاثة أطباقٍ من الفضة فيها بنادق مسكٍ وزعفرانٍ معجون ، في أجواب تلك البنادق رقاع مكتوبة بأموال جزيلة وعطايا سنوية واقطاعات ، فأمر المأمون بنثرها على القوم من خاصته ، فكان كلُّ من وقع في يده بندقة ، أخرج الرقعة التي فيها والتمسه فاطلق له. ووضعت البدر ، فنثر ما فيها على القواد وغيرهم ، وانصرف الناس وهم أغنياء بالجوائز والعطايا. وتقدم المأمون بالصدقة على كافة المساكين. ولم يزل مكرماً لأبي جعفر عليه السلام معظماً لقدره مدة حياته ، يؤثره على ولده وجماعة أهل بيته ^(١).

الثورات والانتفاضات في عهد الإمام عليه السلام

لم تنزل الثورات العلوية والانتفاضات الشيعية ، منذ وضعت حرب الإمام الحسين عليه السلام أوزارها ، تتأجج وتشتعل بين الحين والآخر كلما سنحت لذلك فرصة ، وكلما برز قائد ناهض. يساعد على ذلك ؛ استمرار دور

(١) إعلام الوري ٢ : ١٠١ - ١٠٥ . والاحتجاج : ٢ : ٤٦٩ - ٤٧٧ / الطبعة الأولى المحققة ١٤١٣ هـ مثله. وذكر نحوه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره ١ : ١٨٢ . والطبري في دلائل الإمامة : ٣٩١ / ٣٤٥ . والمفيد في الاختصاص : ٩٨ طبع قم ١٤٠٢ هـ . وابن الصباغ في الفصول المهمة : ٢٦٧ ، وغيرها من المصادر.

الفصل الثاني : الحالة السياسية في عصر الإمام عليّ عليه السلام ٦٥
الأئمة عليهم السلام وحركتهم التغييرية داخل الأمة أولاً ؛ وثانياً : استمرارية تسلط
الحكومة الجائرة الظالمة اللاشرعية على رقاب المسلمين ، وانتشار الفساد
الاجتماعي والاداري والتعسف والجور.

وستناول هنا ما سجّله لنا التاريخ من ثورات أو انتفاضات انطلقت في
عهد إمامة أبي جعفر الثاني عليه السلام . مع أن البعض من تلك الأحداث وإن وقعت
في حياته عليه السلام إلا أننا عرضنا عن ذكرها ؛ لئلا تطول بنا صحائف هذه الدراسة
الموجزة ؛ ولأن تلك الحوادث كانت مما وقع في عهد (إمامة) الإمام
الرضا عليه السلام ؛ كثورة محمد بن إبراهيم بن طباطبا في الكوفة ، وما تلاها من
مساجلات وحروب لقائده العسكري أبي السرايا السري بن منصور^(١) . ثم
انتفاضة اليمن بقيادة إبراهيم ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ؛ وخروج محمد
ابن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في المدينة المنورة^(٢) ؛ وانتفاضة الكوفة مرة
أخرى سنة (٢٠٢ هـ) بقيادة أبي عبدالله ابن منصور أخو أبي السرايا^(٣) . كما أن
حركة حدثت بقيادة جعفر بن داود القمي سنة (٢١٤ هـ) ذكرها الطبري في
تاريخه^(٤) بشكل مقتضب ، ولم نثر على تفاصيل تاريخية لهذه الحركة ،
ولم نقف على ذكر لجعفر القمي هذا ، ومن يكون ؟

وتحت تأثير القسوة التي أبدتها المأمون العباسي ، والدهاء الذي أظهره ،
من خلال تسليم ولاية العهد للإمام الرضا عليه السلام ، أصبحت الأوضاع السياسية
في حالة شبه مستقرة ، واستحالت الثورات وكل تحرك ضد سلطته القائمة

(١) راجع مقاتل الطالبين : ٤٣٥ .

(٢) مقاتل الطالبين : ٤٣٨ .

(٣) راجع : تاريخ الطبري ٨ : ٥٥٨ . وتاريخ الإسلام / الذهبي ١٤ : ٨ حوادث سنة ٢٠١ - ٢١٠ هـ .

(٤) تاريخ الطبري ٨ : ٦٢٢ .

٦٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام إلى رمد ، ولو أنه كان يجيئ تحته ناراً..

ثم يجيئ وجوم.. ويسود صمت (شيعي — علوي).. يدوم بضع سنين.. والناس في حيرة ووجل مما يفعله المأمون بابن الرضا عليه السلام ، فبين شاك ، ومصدق ، ومنتظر ما يؤول إليه الأمر غداً ، وهو ما أرادته المأمون من مناورة الاستدعاء للإمام الجواد عليه السلام إلى بغداد ثم تزويجه من ابنته واسكانه بالقرب منه والجمعية به. ويستمر هذا الحال والإمام يمارس دور الإمامة ومهامها الكبرى بأناة وتروؤ ، حتى تحين سنة (٢٠٧ هـ) .

١ — ثورة عبدالرحمن في اليمن :

بعد استتباب الأمور للمأمون ، وسيطرته التامة على مجاري الشؤون الداخلية للدولة الإسلامية المترامية الأطراف ، تندلع ثورة في نقطة بعيدة من أقاصي المملكة في اليمن بقيادة عبدالرحمن بن أحمد بن عبدالله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عليه السلام ، وهو يدعو للرضا من آل محمد ^(١) سنة (٢٠٧ هـ) . وكان ذا جاه ، فالتفّ حوله خلق كثير من شيعة أهل اليمن ومن غيرهم ممن ضاقوا ذرعاً من العباسيين وولاهم . وسرعان ما سيطرت الحركة على البلاد ، لتعاطف جماهير الأمة معها . والتاريخ جد ظنين بأحداث هذه الثورة وظروفها وأسبابها ومدخلاتها .

وهناك قول لم نتحقق صحته ، أن الثائر عبدالرحمن أقدم من المدينة محمد بن علي بن موسى عليه السلام ودعا إليه سنة سبع ومئتين (٢٠٧ هـ) ^(٢) .

(١) الرضا من آل محمد : اصطلاح يطلق على كل علوي يرتضونه خليفة عليهم ، ويتصدى لقيادة الثورة فينادون به . أو يراد منه إمام الوقت دون التعريف باسمه .

(٢) المجدي في أنساب الطالبين / ابن الصوفي العمري العلوي : ٢٩٥ طبع مكتبة المرعشي النجفي ١٤٠٩

وتتسارع أنباء الثورة إلى بغداد عاصمة الخلافة ، فيجهّز المأمون جيشاً كثيفاً بقيادة دينار بن عبدالله ، ويرسله إلى اليمن لمساعدة واليه المفوض هناك على تهامة اليمن محمد بن إبراهيم بن عبيدالله بن زياد ابن أبيه ، وعاصمته زيد ، لقمع الثورة ، وكتب مع قائد الجيش كتاب أمان إلى عبدالرحمن. وما أن وصلت طلائع الجيش إلى مشارف اليمن ، وعلم عبدالرحمن أن لا قبل له بها ، وكان قد قرئ عليه كتاب الأمان ، عندئذ لم يجد بداً من تسليم نفسه على شرط الكتاب فقبض عليه وأرسل إلى بغداد ، فغضب المأمون بسببه على الطالبيين ومنعهم من الدخول إلى مجلسه ، ثم أجبرهم على لبس السواد العباسي بدل الخضرة الطالبية^(١).

وكان محمد بن إبراهيم الزيّادي من أشد الناس بغضاً لعلي بن أبي طالب وأهل بيته (عليهم السلام) ؛ لهذا لا يبعد أن يكون الرجل كجده لغير رشده^(٢). فاستعان هذا بالجيش في تقوية مركزه ، فأوقع بالعلويين وأنصارهم وقتل شيعتهم وفرّق جمعهم ، وبدّد أوصالهم ، واجتاح مناطق تواجدهم ، وأخذ يوسّع منطقة نفوذه حتى تم له الاستيلاء على أغلب البلاد اليمنية^(٣).

١٤٠٩ هـ.

(١) تاريخ الطبري ٧ : ١٦٨ حوادث سنة (٢٠٧ هـ) طبعة القاهرة ١٣٥٨ هـ. والكامل في التاريخ : ٥ : ٤٦٨ الطبعة الثانية ١٤١٥ هـ ، تحقيق محمد يوسف الدقاق.

(٢) أخرج ابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٢ : ٢٨٧ الطبعة المحققة ، بسنده عن مالك بن أنس ، عن ابن أبي الزناد قوله : (قالت الأنصار : إن كنا لنعرف الرجل إلى غير أبيه يبغضه علي بن أبي طالب (عليه السلام) .

وراجع : فرائد السمطين / الجويني الشافعي ١ : ٣٦٥ / ٢٩٣ فقد أخرج بطريفة عن مالك بن أنس ، عن ابن أبي الزناد أيضاً ، وراجع أيضاً ما أخرج في ١ : ١٣٤ / ٩٧ عن الزهري عن أنس بن مالك منه أنه لا يبغض علياً من قريش إلّا سفحياً ، ولا من العرب إلّا دعياً ، ولا من سائر الناس إلّا شقياً.

(٣) راجع : تاريخ ابن خلدون ٤ : ١٤٨ ، ٢١٧ . وطبقات سلاطين الإسلام / استانلي لين يول : ٨٦ — ٨٨

٢ - انتفاضة القميين :

إن القبضة الحديدية للسلطة العباسية تجاه أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم ، لم تمنع من ظهور الحركات والثورات ضد التعسف والجور العباسي بين الفينة والأخرى ، من هذه الحركات حركة أهالي قم وانتفاضتهم عام (٢١٠ هـ) . ومعلوم تشييع القميين وولاؤهم لأهل البيت عليهم السلام ، فإنهم وتبرماً من كثرة ما يدفعون من خراج السلطان الذي فرض عليهم ، إذ كان عليهم دفع مليوني (٢٠٠٠٠٠٠) درهم سنوياً ، فاستكثروا هذا المبلغ وطلبوا تخفيفه أسوة بما لحق الري من حطيطه خراجهم . ورُفِع طلبهم إلى المأمون ، فرفض إجابتهم إلى ما سألوا ، فامتنعوا من أداء خراج هذا العام ، وثاروا فخلعوا واليهم وطردوه ، ونجحوا في السيطرة على البلد ، ولو استمر نجاحهم لتغير الحال إلى وضع لا تُحمد عقباه بالنسبة للسلطة المركزية ، لكن المأمون تدارك أمرهم بعلي بن هشام على رأس جيش أتبعه بآخر بقيادة عجيف بن عنيسة ، ثم ألحقهما بسرية كانت عائدة من خراسان .

فالتقى الطرفان في حرب غير متكافئة بالعدة والعدد حتى ظفر علي بن هشام بالقميين وقتل رئيسهم يحيى بن عمران ، وهدم سور المدينة ، وفرض عليهم بدل المليونين سبعة ملايين درهم سنوياً ، جباها منهم في سنته ، فدفعوها إليه صاغرين ^(١) .

٣ - ثورة محمد بن القاسم العلوي

من أهم الثورات العلوية الشيعية التي حدثت في زمن إمامة الإمام

الطبعة الأولى ١٤٠٦ هـ الدار العالمية - بيروت.

(١) راجع : تاريخ الطبري ٧ : ١٨٤ . والكامل في التاريخ ٥ : ٤٨١ .

الجواد عليّ ، هي ثورة محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليّ الملقب بالصوفي ؛ للبسه ثياب الصوف والمكتى بأبي جعفر. كان من أهل العلم والفقه والدين والزهد.

وقد فصل خروجه ومنازلاته ثم القبض عليه أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبين قائلاً : وكان خروجه في منطقة الطالقان التي تبعد عن مرو أربعين فرسخاً ودعوته كانت للرضا من آل محمد كما هي حال كل الثورات العلوية ، وقد تبعه عدد من وجوه الزيدية كيجي بن الحسن بن الفرات الحريري ، وعباد بن يعقوب الرواحي ، وكانوا يدعون الناس إليه فتبعهم في مدة يسيرة خلق كثير. وتمت سيطرته على الطالقان مدة أربعة أشهر.

فلما بلغ خبره عبدالله بن طاهر وجّه إليه الجيوش ، فكانت له بين قواد عبدالله بن طاهر وقعات بناحية الطالقان وجبالها ، انهزم أخيراً محمد وأصحابه وتفرقوا في النواحي والأكام ، ولجأ محمد بن القاسم إلى (نسا) فوشى به هناك فألقي عليه القبض ، وقيد بالحديد وأرسل إلى عبدالله بن طاهر ، فأرسله عبدالله إلى المعتصم في (سر من رأى) فأدخل عليه في مجلس شرايه ولهوه يوم ١٥ ربيع الثاني سنة (٢١٩ هـ) ، وكان يوم نوروز ، فأوقفه المعتصم حتى فرغ الغلمان من اللعب والراقصات الفرغانيات من الرقص ، وكانت أكؤس الشراب تُدار في المجلس أمام ناظري محمد بن القاسم ، فلما رأى هذا الوضع بكى ثم قال : اللهم إتك تعلم أي لم أزل حريصاً على تغيير هذا وإنكاره.

ثم أمر به المعتصم فحبس في سرداب ضيق كاد أن يموت فيه ، فأمر بإخراجه منه وإيداعه في سجن في بستان. فلما كان ليلة عيد الفطر احتال محمد بطريقة فهرب بها من السجن وغاب عن الأنظار ولم يعرف له خبر

٧٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام بعد ذلك. وقيل : إنه رجع إلى الطالقان فمات بها. وقيل : بل إنه اختفى^١ ببغداد مدة ثم انحدر إلى واسط فمكث بها حتى مات ، وهو الذي مال إليه أبو الفرج الأصفهاني وصححه. وقيل : إنه توارى أيام المعتصم والوائق ، وأخذ في أيام المتوكل فحبسه حتى مات في محبسه ، ويقال : إنه دس إليه سمّاً فمات منه^(١).

قال المسعودي : وقد انقاد إلى إمامته خلق كثير من الزيدية إلى هذا الوقت ، وهو سنة (٣٣٢ هـ) ، ومنهم خلق كثير يزعمون أن محمداً لم يموت ، وأنه حيٌّ يُرزق ، وأنه يخرج فيملؤها عدلاً كما ملئت جوراً ، وأنه مهدي هذه الأمة ، وأكثر هؤلاء بناحية الكوفة وجبال طبرستان والديلم وكثير من كور خراسان^(٢).

هذا ما وقفنا عليه من حوادث وأحداث خلال سني إمامة أبي جعفر الجواد عليه السلام ، ومع أن التاريخ لم يحدثنا عن موقف عليّ للإمام عليه السلام من هذه الثورات والانتفاضات إلا أنها بلا شك كانت ستنتال رضا الإمام عليه السلام فيما لو نجحت في تحقيق أهدافها في الإطاحة بالمتسلطين على الحكم ظلماً وعدواناً.

(١) مقاتل الطالبين : ٤٦٤ — ٤٧٢ . وتاريخ الطبري ٧ : ٢٢٣ — ٢٢٤ حوادث سنة (٢١٩ هـ) . عمدة الطالب / أحمد بن علي الداودي : ٣٠٦ الطبعة الحيدرية — النجف . والبحر الزخار / أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت / ٨٤٠ هـ) ١ : ٢٢٨ المقدمة ، وفيه : أن المعتصم حبسه أياماً وهرب من حبسه ، فأخذه وضرب عنقه صبراً ، وصلبه بباب الشماسية وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، وهو أحد أئمة الزيدية وعلمائهم وزهادهم.

(٢) مروج الذهب ٤ : ٦٠ — ٦١ .

الفصل الثالث

العطاء الفكري للإمام عليه السلام

لا بدّ للإمام المعصوم أن يمارس نفس الأدوار والمهام التي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمارسها في حياة الأمة من تبليغ الرسالة.. وهداية الأمة إلى الرشاد.. أصالة عن دوره في تحمل أعباء الإمامة المتعينة من قبل السماء ، والتي « هي منزلة الأنبياء ، وإرث الأوصياء.. »^(١) ، ونيابة عن النبوة الخاتمة باعتبارهم الإمتداد الطبيعي لها. بما اكتسبوه من عصمة في الفكر والسلوك ، و « إنّ الإمامة خلافة الله ، وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .. »^(٢) ، ولهذا وذاك فإنّ حاجة الناس إلى الإمام كحاجتها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لتعليق نظام أمورها الدينية والدينية عليه.

وعليه فدراسة حياة الأئمة عليهم السلام باعتبارهم أوصياء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يجب أن تعتمد المنهجية الأصيلة في البحث ؛ فتركز خصائص الإمام الذاتية وسيرته وسلوكه على أنّها متممة للسيرة النبوية المباركة من جانب ، ومن جانب آخر عليها — أي الدراسة — إبراز جانب التكليف الإلهي لمنصب وصاية الأنبياء ، ووظيفة الإمام الرسالية في البناء الفكري والعقدي للأمة

(١) الكافي ١ : ٢٠٠ / ١ عن الإمام الرضا عليه السلام .

(٢) المصدر السابق نفسه.

الإسلامية ، ثم هداية الشعوب والأمم إلى خط الإسلام الأصيل ، تماماً كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إبان الدعوة ، وبعد انتشار الإسلام. وهكذا تحتفظ مسيرة حركة الأنبياء بتعجيلها في انطلاقها إلى آخر عمر الدنيا ، حيث إنّ الإسلام رسالة خاتمة ، وليس بعده نبوة أو رسالة.

ولهذا اكتسب منصب الإمامة والوصاية أهمية بالغة وخطيرة في حركة الأمة ، ومن هنا ندرك معنى قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : « من سرّه أن يمحي حياتي ، ويموت مماتي ، ويسكن جنة عدن غرسها ربي ، فليوال علياً من بعدي ، وليوال وليه ، وليقتد بأهل بيتي من بعدي فإنهم عترتي ، خلّفوا من طينتي ، ورزقوا فهمي وعلمي » ^(١).

فالأئمة إذن ؛ قوام الله على خلقه ، وعرفاؤه على عباده ، ولا يدخل الله أحداً الجنة إلّا من قد عرفهم وعرفوه ، ولا يدخل النار إلّا من أنكرهم وأنكروه ^(٢).

ومن خلال هذه السلسلة لأئمة الهدى الاثني عشر تطالع الأنموذج الأمثل لسيرة أولياء الله الصالحين ، الهادين المهديين ، وهي تضارع سيرة الأنبياء إن لم تكن تماثلها أو تسمو عليها في بعض الحالات. ولا تحسبن ذلك غلوّاً منّا أو شططاً من القول ، فالصحيح المتواتر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن عيسى بن مريم وهو نبي من أولي العزم يتزل عند خروج المهدي صاحب الزمان (عج) ويكون بمثابة وزيره ، ويصلي خلفه مأموماً ^(٣).

(١) كثر العمال ١٢ : ١٠٣ / ٣٤١٩٨ عن الطبراني في المعجم الكبير بإسناده عن ابن عباس.

(٢) راجع : نهج البلاغة : ٢١٢ خطبة ١٥٢ تنظيم صحي الصالح.

(٣) راجع : مصنف ابن أبي شيبة ١٥ : ١٩٨ / ١٩٤٩٥. والحاوي للفتاوى / السيوطي ٢ : ٧٨. وفيض

وهكذا جميع الأئمة عليهم السلام كلّ له دوره المتميز ، وهم متحدون في الصفات والأهداف ، ومنهم إمامنا الجواد عليّ عليه السلام الذي لا يختلف عن آبائه المعصومين عليهم السلام ، إنّما تميزوا باختلاف أدوارهم ، وتنوع مواقفهم حسب ظروف المرحلة التي مرّوا بها وطبيعتها.

ورغم قصر عمر أبي جعفر الثاني ، فقد تميزت حياته بدور فاعل ومؤثر في حركة المجتمع خاصة وأنه مهّد الطريق ، وهياً الأجواء لثلاثة أئمة أتوا من بعده كانت ظاهرة صغر السن بالنسبة إلى بعضهم تشكّل أمراً بالغ الخطورة ، خاصة في قضية الإمام القائم محمد بن الحسن المهدي عليه السلام .

وسوف نلمس العطاء الفكري والعلمي للإمام الجواد عليّ عليه السلام من خلال أصحابه وتلامذته والرواة عنه ، ومن خلال ما تناوله من علوم ومعارف أثرياً بما مدوّنتا الفقهية والحديثية ، رغم (الحصار المبطن) الذي أحيط بالإمام طيلة إقامته في بغداد والتي لم يُفصح المؤرخون عن مدتها تحديداً ؛ ومن خلال كلماته القصار التي هي مناهج للعقيدة.. وبرامج عمل نحو السمو والتكامل الروحي لبناء الإنسان وفق المنظور الإسلامي.

أصحاب الإمام والرواة عنه :

أصحاب الأئمة عليهم السلام عموماً ، والمحدّثون والرواة منهم خاصة ، يشكّلون بلا ريب الامتداد الحضاري لفكر الإمام ورسالته على طول الفترة الزمنية التي يعيشها الحدّث ، ثم الذي يحدّث عنه.. وهكذا كلما تطاولت سلسلة الرواة عبر التاريخ كما وكيفاً ، زادت الصلة وتوثقت ، وتعمّق الترابط بين

تراثنا العريق وبين الحاضر المعاصر الجديد.

وسبق الحديث عن ما لأئمة أهل البيت عليه السلام من دور في حركة المجتمع والتاريخ ، كذلك أصحابهم ووكلائهم عليه السلام كان لهم أيضاً دور فاعل في عملية التغيير والبناء الرسالي التكاملي للأمة ، فقد كانوا بمثابة أذرع الإمامة الممتدة في الأمة ، وأصواتها الموصلة لرسالتهم إلى جماهير الناس وأفرادها.

ثم إن هؤلاء هم الحافظون لتراثهم الإسلامي الأصيل ، والناقلون له إلى الأجيال التالية من بعدهم. لهذا كان الأئمة عليه السلام يحرصون على اصطفاء مجموعة من الأصحاب الثقات المخلصين الذين يرون فيهم أهلية تحمّل بعض علوم الإمام واستيعابها. فكانوا عليه السلام يعدّونهم إعداداً خاصاً ؛ ليفضوا إليهم ببعض أسرارهم وعلومهم.

وبذا فقد تخرّج من مدرسة أهل البيت عليه السلام رجال أفذاذ يُعتبرون من مفاخر التاريخ ، ونوادير الدنيا في مختلف العلوم من فقه وحديث وتفسير ولغة وفلسفة وأخلاق إلى غير ذلك ما شاء الله من العلوم والمعارف الإسلامية.

ولو تصفحنا تاريخ الثلة المؤمنة من أولئك الرجال الأماثل ، وتتبعنا ما حفظوه لنا من تراثنا الإسلامي ، فسنجد أن هناك كنوزاً من الذخائر أودعوها لنا في مدونات بلغ ما كتبه منها محمد بن أبي عمير — مثلاً — أربعاً وتسعين كتاباً ، وما كتبه الفضل بن شاذان يبلغ مئة وثمانين كتاباً ، ويونس ابن عبد الرحمن أكثر من ثلاثمئة كتاب ، ومحمد بن أحمد بن إبراهيم أكثر من سبعين كتاباً ، وعلي بن مهزيار خمساً وثلاثين كتاباً.

فهذه أكثر من ستمئة وسبعين كتاباً لخمسة فقط من أصحاب الأئمة عليهم السلام ، علماً بأن لدينا ما يزيد على ستة آلاف وستمئة كتاب ^(١) مؤلفة في أبواب الفقه والأحكام ، اشتهر منها (٤٠٠) كتاب سُمّيت (أصولاً) كانت هي المعوّل عليها في الرجوع إلى المسائل الفقهية واستكشاف جواباتها الواقعية التي هي جوابات الأئمة عليهم السلام عن المسائل التي كانت تطرحها الناس عليهم ، ثم اعتُمدت هذه الأصول فيما بعد في كتابة مدوناتنا الحديثة.

ولو نظرنا إلى المعاجم الرجالية الأولى ، فسنجد أن لكل إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام مجموعة كبيرة من الرجال والمحدثين تحيط به ، تسمع منه ، وعنه تأخذ أحكام الدين ، وعن طريقه تعيد سماع أحاديث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وإمامنا الجواد عليه السلام واحد من تلك الكوكبة المختارة رحمة للبشرية ، والقطب الذي كانت تدور عليه العلماء والفقهاء ، ليس من الشيعة فحسب ، بل ومن غير الشيعة من المذاهب والفرق والتيارات الأخرى. وفي تقديرنا أن عدد الأصحاب والرواة يشير إلى مدى تحرك الإمام في الأمة ، وطبيعي أن للظروف السياسية أثراً إيجابياً في تحديد الكم الظاهري الذي يدور حول محور الإمام عليه السلام ، والذي يستقطب إليه كل التيارات وإن كانت معاكسة ومخالفة في مسيرها للاتجاه الطبيعي للتحرك الإسلامي. وهذه هي إحدى مهام وأهداف الإمامة في العمل الرسالي ، والتوجه التربوي الذي تقوم عليه.

فالإمام هو القاسم المشترك الذي تلتقي عنده كل المعادلات ، وتقبله جميع الأرقام السياسية والعقيدية والفكرية ، وهو أمر لا يتهيأ لكل أحد إلّا

من عصمه الله تعالى من الزلزل والخطل ، وأعدّه لتولي هداية البشر .

ولو نظرنا إلى أصحاب ورواة الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام نظرة تحليلية فاحصة ، فإننا نجد أن هناك مجموعة كبيرة من الرواة والأصحاب نسبة إلى باقي الأئمة عليهم السلام مع الأخذ بنظر الاعتبار قصر عمر الإمام ، والظروف السياسية الخاصة التي كانت تحيط به ، ثم صغر سنّه وما قد عرفت فيما مضى من تردّد البعض في قبول إمامته ، ومع كل هذا فقد كانت حصيلة إمامنا الجواد عليه السلام من الصحابة والرواة والوكلاء أن أحصينا تعدادهم بما يقرب من (٢٥٠) وهو عدد لم يسبقنا إليه أحد ممن ترجم للإمام عليه السلام وعدّ أو أحصى رواته وصحبه من الرجاليين ، فالشيخ الطوسي — مثلاً — عدّ في موسوعته الرجالية (١١٦ هـ) من أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ورواته .

كما أنك تلاحظ أن بين هذه الجمهرة من الصحابة والرواة كبار العلماء والفقهاء والمحدثين ، وأعلام الفكر والأدب ، كما أن فيهم من العامة والغلاة والمجاهيل لدينا أو لمن ذكرهم بالمجهولية ، وهذه الجمهرة إن دلّت على شيء فإنّها أول ما تدلّ على مقدار ومدى ما يتمتع به الإمام عليه السلام من حصيلة علمية ثرة يتصاغر أمام سعتها وشموليتها أكابر العلماء ، وعظماء الفقهاء ، كما أن العدد الجم الذي صحب الإمام وهو في أوان شبابه ، ما صحبوه إلّا للاستفادة من ثراء علمه وحاجتهم إليه . كما تجد من بين هذا العدد الغفير ما يزيد على الأربعين من الرواة الثقات أو الوكلاء ، وفيهم من أجمعت الطائفة على تصحيح كل ما رووه وإن أرسلوا ، ومنهم نحو هذا العدد أيضاً من أصحاب المؤلفات والشعراء . ولا يخفى ما لهؤلاء الأعلام من دور إيجابي فاعل في حفظ ونشر التراث الإسلامي الأصيل ، تراث أهل البيت عليهم السلام .

فمن ذُكر في أصحاب الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام من العلماء والفقهاء من

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٧٧
أصحاب المصنّفات :

١ - إبراهيم بن أبي البلاد يحيى ، أبو يحيى الكوفي : ثقة ، قارئ ، أديب ، له كتاب. عمّر طويلاً فصحب من الأئمة الصادق والكاظم والرضا والجواد عليهم السلام. وروى عن الإمام الجواد عليه السلام ، أثنى عليه الإمام الرضا عليه السلام في رسالة بعثها إليه.

٢ - إبراهيم بن أبي محمود الخراساني : ثقة ، جليل القدر ، من أهل الحديث والرواية ، مصنّف. مكفوف البصر. عُدّ في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهم السلام ، دعا له الإمام الجواد عليه السلام بالجنة.

٣ - إبراهيم بن مهزيار ، أبو إسحاق الأهوازي : هو أخو علي بن مهزيار ، عُدّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام ، وأدرك الإمام المهدي عليه السلام وشاهده. له كتاب البشارات.

٤ - أحمد بن إسحاق بن عبدالله ، أبو علي الأشعري القمي : ثقة ، عين ، شيخ القميين ومبعوثهم وربطهم مع الأئمة عليهم السلام ، اختص بالإمام العسكري عليه السلام وتوكّل له. عُدّ في أصحاب الإمامين الجواد والعسكري عليهم السلام ، وتشرف بلقاء الإمام المهدي عليه السلام. له مؤلفات في الفقه.

٥ - أحمد بن عبدالله بن عيسى بن مصقلة الأشعري القمي : له كتاب عن الإمام الجواد عليه السلام.

٦ - أحمد بن محمد بن خالد ، أبو جعفر البرقي : فقيه ، محدّث ، مصنّف ، له نحو مئة مصنّف كلّها مفقودة عدا كتاب المحاسن المشهور وكتاب في الرجال عُرف بـ « رجال البرقي ». توفي سنة (٢٧٤ هـ) وقيل سنة : (٢٨٠ هـ).

٧٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام

٧ - أحمد بن محمد بن عبيد الله الأشعري القمي : ثقة ، له كتاب ، يُعد في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام .

٨ - أحمد بن محمد بن عمرو بن أبي نصر ، أبو جعفر البزنطي : ثقة ، ثبت ، مصنف . عُدَّ في أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد عليه السلام ، توفي سنة (٢٢١ هـ) .

٩ - أحمد بن محمد بن عيسى ، أبو جعفر الأشعري القمي : فقيه ، مصنف ، شيخ القميين ورئيسهم . وهو أول من سكن قم من الأشعرين ، جليل القدر ، يلقى السلطان والولادة مكرماً مهاباً . عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليه السلام .

١٠ - إسماعيل بن سهل الدهقان : له كتاب ، ذكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ، وفيه ضعف .

١١ - إسماعيل ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام ، أبو أحمد : مصنف ، ذكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

١٢ - أيوب بن نوح بن دراج ، أبو الحسين الكوفي : ثقة ، مأمون ، مصنف ، عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليه السلام . من خواص الإمام الجواد عليه السلام ، ولي قضاء الكوفة .

١٣ - بكر بن أحمد بن إبراهيم ، أبو محمد الأشج : مصنف ، ذكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

١٤ - بكر بن صالح الرازي : له كتاب ، عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

١٥ - جعفر بن محمد بن يونس الأحول الصيرفي : ثقة ، له كتاب . عُدَّ في

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٧٩
أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام .

١٦ - الحسن بن سعيد بن حمّاد ، أبو محمد الأهوازي : مصنّف ، جليل القدر ، واسع الرواية ، كوفي الأصل. عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام شريك أخيه الحسين في تصانيفهما.

١٧ - الحسن بن العباس بن الحريش ، أبو علي الرازي : له كتاب ، عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

١٨ - الحسن بن علي بن زياد ، أبو محمد الكوفي الخزاز المعروف بالوشاء : وجه من وجوه الشيعة ، له كتاب. عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والهادي عليهما السلام ، وروى عن الإمام الجواد عليه السلام . وهو القائل في مسجد الكوفة : أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدّثني جعفر ابن محمد.

١٩ - الحسن بن علي بن يقطين : له كتاب. عُدَّ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ، ويروي عن الإمام الجواد عليه السلام .

٢٠ - الحسن بن محبوب بن وهب ، أبو علي السراد الكوفي : ثقة ، فقيه ، مصنّف. أحد الأركان الأربعة في عصره. وهو من المجمع على تصحيح ما يروون وإن أرسلوا. ذكر في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام ، روى عن الإمام الجواد عليه السلام . توفي أواخر سنة (٢٢٤ هـ).

٢١ - الحسين بن سعيد بن حماد الأهوازي : ثقة ، مصنّف ، كوفي ، شارك أخاه الحسن في جميع تصانيفهما.

٢٢ - همدان بن إسحاق الخراساني : مصنّف ، ذكر في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام .

- ٨٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام
- ٢٣ — سعد بن سعد الأحوص بن سعد الأشعري القمي : ثقة ، مصنف ، من أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام . ترحم عليه الإمام الجواد عليه السلام هو وآخرين ، وعُدَّ في رجاله والرواة عنه .
- ٢٤ — سهل بن زياد ، أبو سعيد الآدمي الرازي : مصنف . عُدَّ في أصحاب الأئمة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .
- ٢٥ — صفوان بن يحيى ، أبو محمد البجلي الكوفي : فقيه ، ثقة ، عين ، مصنف ، ورع ، زاهد ، من أوثق أهل زمانه . توفي بالمدينة المنورة سنة (٢١٠ هـ) ، فأمر الإمام الجواد عليه السلام عمه إسماعيل بن موسى الكاظم بالصلاة عليه ، دفن بالقيع .
- ٢٦ — عبد الرحمن بن عمرو بن مسلم ، أبو الفضل التيمي الكوفي : ثقة ، محدث ، مصنف ، عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام .
- ٢٧ — عبدالسلام بن صالح بن سليمان ، أبو الصلت الهروي : ثقة ، إمامي ، صحيح الحديث مأمون ، مصنف . مخالط للعامة . أطراه العامة والخاصة . مولده بالمدينة ، وفاته كانت سنة (٢٣٢ هـ) ، وقال الخطيب : سنة (٢٣٦ هـ) .
- ٢٨ — عبدالعزيز بن يحيى بن أحمد ، أبو أحمد الجلودي البصري : ثقة ، شيخ البصرة ، مصنف ، له حوالي (١٩٠) كتاباً في مختلف المواضيع . ذُكر في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .
- ٢٩ — عبدالله بن الصلت ، أبو طالب القمي : ثقة ، مسكون إلى روايته ، يُعرف له كتاب في التفسير . عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام .
- ٣٠ — عبدالله بن محمد بن حصين الحصيني العبدي الاهوازي : ثقة ،

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٨١
مصنّف. عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام .

٣١ - عبدالله بن المغيرة ، أبو محمد البجلي الخزاز الكوفي : ثقة ، جليل القدر ، صنّف (٣٠) كتاباً ، وعُدَّ من أصحاب الإجماع. عُدَّ في أصحاب الإمامين الكاظم والرضا عليهما السلام . وروى عن الإمام الجواد عليه السلام .

٣٢ - علي بن اسباط بن سالم ، أبو الحسن الكندي الكوفي يّاع الزطّي : ثقة ، محدّث ، معتمد ، مصنّف ، من أوثق الناس وأصدقهم لهجة.

٣٣ - علي بن بلال ، أبو الحسن البغدادي : ثقة ، مصنّف. عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام . كان حياً سنة (٢٣٢ هـ).

٣٤ - علي بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام المدني المعروف بالعرضي : ثقة ، جليل القدر ، مصنّف. عُدَّ في أصحاب الأئمة الصادق والكاظم والرضا عليهم السلام ، وأدرك الإمام الجواد عليه السلام ، توفي سنة (٢١٠ هـ) بالعريض من نواحي المدينة المنورة وبها دفن.

٣٥ - علي بن سيف بن عميرة ، أبو الحسن النخعي الكوفي : ثقة ، مصنّف. عُدَّ في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام ، وروى عن الإمام الجواد عليه السلام .

٣٦ - علي بن عبدالله ، أبو الحسن العطار القمي : ثقة ، مصنّف. عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهما السلام .

٣٧ - علي بن مهزيار ، أبو الحسن الأهوازي : فقيه ، ثقة ، دين ، له نحو (٣٣) كتاباً. عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام .

٣٨ - الفضل بن شاذان ، أبو محمد الأزدي النيشابوري : ثقة ، جليل القدر ، صنّف مئة وثمانين كتاباً. عُدَّ في أصحاب الإمامين الهادي والعسكري ،

٨٢ الإمام محمد الجواد عليه السلام
وروى^١ عن الإمام الجواد عليه السلام . توفي سنة (٢٦٠ هـ) .

٣٩ — محمد بن إسماعيل بن بزيع ، أبو جعفر : ثقة ، صالح ، مصنف . عُدد في أصحاب الأئمة الكاظم والرضا والجواد عليهم السلام . امتدحه الإمامان الرضا والجواد عليهم السلام .

٤٠ — محمد بن إسماعيل الرازي : ثقة ، مصنف . روى^١ عن الإمام الجواد عليه السلام .

٤١ — محمد ابن أورمة ، أبو جعفر القمي : حديثه نقي لا فساد فيه ، له أكثر من (٣٠) مصنفًا . قال ابن الغضائري : رأيت كتاباً خرج من أبي الحسن علي ابن محمد عليه السلام إلى القميين في براءته مما قذف به ، وعُدد في أصحاب الإمام الرضا عليه السلام . وروى^١ عن ابنه الإمام الجواد عليه السلام .

٤٢ — محمد بن الحسن بن شمون ، أبو جعفر البصري البغدادي : وصف بالوقف والغلو وطعن في مصنفاته . تُروى^١ له مكاتبات مع الإمام العسكري عليه السلام تدل على اعتداله واستقامة مذهبه ، مصنف . عُدد في أصحاب الأئمة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام . عاش (١١٤) سنة ، وتوفي سنة (٢٥٨ هـ) .

٤٣ — محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب زيد ، أبو جعفر الزيّات الهمداني الكوفي : ثقة ، عالم ، مصنف . عُدد في أصحاب الأئمة الجواد والهادي والعسكري عليهم السلام . توفي سنة (٢٦٢ هـ) .

٤٤ — محمد بن حمزة العلوي المرعشي الطبري : زاهد ، صالح ، له كتاب في الفضائل .

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليّ عليه السلام ٨٣

٤٥ — محمد بن سهل بن اليسع الأشعري القمي : الظاهر أنه ثقة ، معتمد ، له كتاب . يروي عن الإمامين الرضا والجواد عليهما السلام .

٤٦ — محمد بن عيسى بن عبيد بن يقطين ، أبو جعفر العبيدي اليقطيني : ثقة ، عين ، مصنف ، عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والهادي والعسكري عليهم السلام ، وروى عن الإمام الجواد عليهما السلام .

٤٧ — محمد بن الفرج بن عبدالله الرخجي : ثقة ، وجه من وجوه الشيعة . عُدَّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام ، وروى أيضاً عن الإمام الكاظم عليهما السلام .

٤٨ — مروك بن عبيد بن سالم بن أبي حفصة زياد : ثقة ، صدوق ، حتى إنَّ القميين قالوا إنَّ كتاب نوادره أصل . عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليهما السلام .

٤٩ — معاوية بن حكيم بن معاوية بن عمار الكوفي الدهني : ثقة ، من أجلة العلماء والفقهاء والعدول ، وهو فطحي . عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام .

٥٠ — معمر بن خلاد ، أبو خلاد البغدادي : ثقة ، له كتاب ، ذُكر في أصحاب الإمام الرضا عليهما السلام ، ولا يبعد إدراكه للإمام الجواد عليهما السلام .

٥١ — منذر بن قابوس : قال النجاشي : منذر بن محمد بن المنذر بن سعيد ابن أبي الجهم القابوسي ، أبو القاسم . من ولد قابوس بن النعمان بن المنذر ، ثقة ، مصنف . عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليهما السلام .

٥٢ — منصور بن العباس ، أبو الحسين الرازي : قال النجاشي : سكن بغداد ، وبها توفي . عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام . وروى عن الإمام

٥٣ - موسى بن عمر بن بزيع الكوفي : ثقة ، له كتاب. عُدَّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام .

٥٤ - موسى بن القاسم بن معاوية ، أبو عبدالله البجلي : ثقة ، حليل القدر ، حسن الطريقة ، صتَّف ثلاثين كتاباً. عُدَّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام .

٥٥ - هارون بن الحسن بن محبوب البجلي : ثقة ، صدوق ، له كتاب. عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

٥٦ - يعقوب بن اسحاق ، أبو يوسف ابن السكيت : عالم ، أديب ، نحوي ، لغوي. له مؤلفات عديدة أشهرها اصلاح المنطق. وله عن أبي جعفر عليه السلام رواية ومسائل ، وكان متقدماً عنده وعند أبي الحسن عليه السلام وكانا يختصانه.

طلب إليه المتوكل العباسي تأديب ولديه المعتز والمؤيد ، فأدبهما خير أدب حتى كانا يتسابقان على تقديم نعليه. ولما رأى المتوكل منهما ذلك ، وقد علم بتشيعه ، سأله هل ابنائي هذان أفضل أم الحسن والحسين ؟ فغضب ابن السكيت وقال : والله إن قنبراً خادماً علي بن أبي طالب خيرٌ منك ومن ولدك. فأمر المتوكل حرسه من الاتراك أن يستلوا لسانه ، فسَلَّوه فمات من فوره ﷺ كان ذلك في الخامس من رجب سنة (٢٤٤ هـ).

٥٧ - يعقوب بن يزيد بن حماد ، أبو يوسف الأنباري السلمى الكاتب : ثقة ، صدوق ، مصتَّف ، من كتَّاب الخليفة العباسي المنتصر. روى عن الجواد عليه السلام ، وكان من قبل من أصحاب أبيه.

تلك كانت جمهرة العلماء من أصحاب التصانيف ، وإليك طائفة أخرى من الثقات والمختصين بالإمام الجواد عليّ عليه السلام ومريديه ، وبعضاً من وكلائه :

١ - إبراهيم بن محمد الهمداني : ثقة ، كتب له الإمام الجواد عليّ عليه السلام كتاباً وكلّه فيه على همدان ونواحيها بعد موت يحيى بن أبي عمران ، فكان وكيله ، وأولاده من بعده وكلاء للأئمة الأطهار عليهم السلام . عُدّ في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي عليهم السلام .

٢ - اسحاق بن إسماعيل ، أبو أحمد النيسابوري : ذكره ابن شهر آشوب في جملة ثقات الإمام الجواد عليّ عليه السلام ، وعُدّ في أصحاب الإمام الحسن العسكري عليّ عليه السلام .

٣ - إسحاق الأنباري : من أجلاء الشيعة ، كان محل ثقة الإمام الجواد عليّ عليه السلام .

٤ - الحسن بن راشد ، أبو علي البغدادي : فقيه ، من الوكلاء الأعلام المدوحين . عُدّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام . يروي عن الإمام الجواد عليّ عليه السلام .

٥ - الحسن بن محمد بن عبيد الله الأعرج : هو من السادات العلوية ، وهو أحد شهود وصية الإمام الجواد عليّ عليه السلام إلى ابنه أبي الحسن الهادي عليّ عليه السلام ، وقد كتب شهادته وأمضاها مع آخرين .

٦ - الحسين بن أسد البصري : ثقة ، عُدّ في أصحاب الإمام الجواد عليّ عليه السلام .

٧ - الحسين بن مسلم بن الحسن : وثّقه ابن شهر آشوب في مناقبه ، وعُدّ في أصحاب الإمام الجواد عليّ عليه السلام .

٨ - الحسين ابن الإمام موسى بن جعفر عليّ عليه السلام أبو عبد الله : كان مقراً بإمامة

أخيه الرضا وابنه الجواد عليه السلام .

٩ — حماد الشاعر : ذكر أنه شاعر الإمام الجواد المختص به هو وداود بن القاسم الجعفري الآتي ذكره .

١٠ — حماد بن عيسى ، أبو محمد الجهني البصري : كوفي سكن البصرة ، فقيه ، ثقة ، صدوق ، ثبت في الحديث . قيل : إنه ممن أجمعوا على تصحيح ما يصح عنهم وتصديقهم . توفي سنة (٢٠٩ هـ) بعد أن تجاوز التسعين من العمر .

١١ — حمزة بن يعلى ، أبو يعلى الأشعري القمي : ثقة ، وجه ، روى عن الإمامين الرضا والجواد عليه السلام .

١٢ — خيران الخادم القرايطسي : ثقة ، جليل القدر ، يظهر أنه كان وكيلاً للإمام الجواد عليه السلام ومن الموثقين لديه . أجازه الإمام الجواد عليه السلام بالعمل برأيه بشأن استلام الحقوق وصرفها بقوله عليه السلام : « فَإِنَّ رَأْيَكَ رَأْيِي ، وَمَنْ أَطَاعَكَ فَقَدْ أَطَاعَنِي » .

١٣ — داود بن القاسم بن إسحاق ، أبو هاشم الجعفري : ثقة ، جليل ، شاعر أهل البيت عليه السلام ولازم الإمام الجواد عليه السلام . عاصر خمسة من الأئمة عليهم السلام من الإمام الرضا وحتى الإمام المهدي المنتظر محمد بن الحسن عليه السلام وروى عنهم . وله فيهم شعر جيد . حُبس سنة (٢٥٢ هـ) في سامراء هو والإمام الهادي عليه السلام معاً في سجن واحد . عُدد في أصحاب الأئمة الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام . توفي سنة (٢٦١ هـ) .

١٤ — الريان بن شبيب : ثقة ، ذكر في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام ، وهو خال المعتصم العباسي .

١٥ - الريان بن الصلت ، أبو علي الأشعري القمي : ثقة ، معتمد عليه ، صدوق ، روى عن الإمام الجواد عليه السلام ، وقبل ذلك كان له اتصال بالإمام الرضا عليه السلام .

١٦ - زكريا بن آدم بن عبدالله ، أبو يحيى الأشعري القمي : ثقة ، عظيم القدر ، ذكر في أصحاب الأئمة الصادق والرضا والجواد عليهم السلام . وصفه الإمام الرضا عليه السلام بأنه المأمون على الدين والدنيا. ترحم عليه الإمام الجواد عليه السلام حين سمع بموته في قم. وهو المدفون في المقبرة التي تُعرف اليوم بمقبرة شيخان.

١٧ - سعيد بن جناح : ثقة ، روى عن الإمام الجواد عليه السلام ، كوفي الأصل ، نشأ وتوفي ببغداد.

١٨ - شاذان بن الخليل النيسابوري : والد العالم الفاضل المتكلم الفضل ابن شاذان ، فقيه ، فاضل ، جليل القدر ، عُدد في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

١٩ - صالح بن محمد الهمداني : ثقة ، عُدد في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليهم السلام .

٢٠ - عبد الحميد بن سالم العطار الكوفي : ثقة ، عُدد في أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، وذكر أيضاً في أصحاب الإمام الكاظم عليه السلام .

٢١ - عبدالعزيز بن المهدي بن محمد الأشعري ، القمي : ثقة ، جليل القدر ، توكل للإمام الرضا عليه السلام ، وكان من خاصته ، وعُدد في أصحابه.

٢٢ - عبد العظيم بن عبدالله بن علي بن الحسين بن زيد ابن الإمام الحسن المجتبي عليه السلام أبو القاسم الحسيني الرازي : ثقة ، محدث ، جليل القدر ، عظيم

٨٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام
المتزلة ، ذو ورع واجتهاد.

أدرك من الأئمة : الرضا والجواد والهادي عليه السلام . كانت ولادته نحو سنة (٢٠٠ هـ) ، أما وفاته فقد ترددت بين سنة (٢٥٠ هـ) و (٢٥٢ هـ) أو (٢٥٥ هـ) .

٢٣ — عبدالله ابن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام : شيخ كبير ، عابد زاهد ، عليه أثر السجود ، صحب الإمام الجواد عليه السلام فترة من حياته . كان يعظم الإمام كثيراً .

٢٤ — علي بن حسان ، أبو الحسين الواسطي القصير المعروف بالمنمّس : ثقة ، عُدّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام ، وقد عمّر أكثر من مئة سنة .

٢٥ — علي بن عاصم الكوفي : شيخ الشيعة في وقته ، محدّث ، زاهد عابد . قيل : كان يحفظ (١٠٠ ألف) حديث . توفي سجيناً زمن المعتضد العباسي قبل سنة (٢٨٩ هـ) ، وقد تجاوز التسعين من العمر .

٢٦ — محمد بن إبراهيم الحضيبي الأهوازي : كان يُعد من خواص الإمام الجواد عليه السلام ، وقد ترحّم عليه الإمام مّا علم بموته . عُدّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

٢٧ — محمد بن عبد الجبار الشيباني القمي : ثقة ، عُدّ في أصحاب الإمامين الجواد والهادي عليه السلام .

٢٨ — محمد بن يونس بن عبدالرحمن : ثقة ، عُدّ في أصحاب الإمامين الرضا والجواد عليه السلام .

٢٩ — المختار بن زياد العبدي البصري : ثقة ، عُدّ في أصحاب الإمام الجواد عليه السلام .

٣٠ - مصدق بن صدقة المدائني : ثقة ، من أجلة الفقهاء والعلماء ، عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليّ عليه السلام وقد عمّر مئة سنة.

٣١ - يحيى بن أبي عمران الهمداني : وكيل الإمام الجواد عليّ عليه السلام في نواحي همدان.

٣٢ - أبو الحسين بن الحسين الحصري : ثقة ، عُدَّ في أصحاب الإمام الجواد عليّ عليه السلام .

٣٣ - حكيمة بنت علي بن موسى الرضا عليّ عليه السلام : جليلة القدر ، عظيمة المترلة ، حدّثت عن أخيها الجواد عليّ عليه السلام .

٣٤ - حكيمة بنت الإمام الجواد عليّ عليه السلام : وهذه أيضاً جليلة القدر ، عظيمة المترلة ، حضرت ولادة الإمام المهدي عليّ عليه السلام . كان لها دور بارز في عملية السفارة وايصال الكتب إلى الإمام المهدي عليّ عليه السلام في غيبته الصغرى . توفيت سنة (٢٧٤ هـ) ودفنت عند رجلي الإمامين العسكريين .

هذه المجموعة الكبيرة من الثقات والتي سبقتها من أصحاب المؤلفات والتصانيف وغيرهم من رواة الإمام وأصحابه يشكلون رصيماً علمياً ثراً لا غناء لنا عنه ولا محيد ، وهم بعد هذا يُعتبرون أوتاد المذهب وحفظة التراث ، وسلفنا الصالح الذين بهم يُقتدى ، وعليهم يُعول .

ثم إن الإمام عليّ عليه السلام باعتبار دوره القيادي الرائد في الأمة ، وما يحمله من علوم ومعارف ، الأمر الذي جعله محوراً يدور عليه فلك الأمة الإسلامية ، بمختلف اتجاهاتها وتياراتها المذهبية ، ولا عجب إذن لو رأيت أن بعض

٩٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام رواة الأئمة عليهم السلام من غير شيعتهم^(١) ، بل ولعل البعض منهم من العُلاة أو الواقفة وغيرهم ، وهذا يؤكد ما قلناه من محورية الإمام في الإشعاع العلمي الإسلامي واستقطابه لكافة الفعاليات العلمية والاجتماعية في عصره.

ولولا الأوضاع السياسية التي مرّت على الأمة الإسلامية وعصفت بها منذ عهد بني أمية وحتى زمن متأخر من عصورنا الحاضرة لألفيت الصحاح والمدونات الحديثية قد ملئت بحديث أهل البيت عليهم السلام بعشرات أضعاف ما تحويه اليوم ، لكن الخوف من روايته قد حال دون ذلك ؛ لأن عقوبة روايته كانت تواجه من قبل السلطان بأقصى ما تتصور من عقوبة أقلها كان هدم داره ، وحذف اسمه من ديوان العطاء ، ونفيه مع من يلوذ به في العراء ، وهو المرحوم بحاله من قبل السلطة ، هذا إذا لم تل السيوف من حبال رقبتة.

دور الامام عليه السلام في الحياة العلمية

من المقدمات التي يلزم التذكير بها هنا أن أئمة أهل البيت عليهم السلام جميعاً هم أبواب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يختلفون سعة ، ولا يتميزون عمقاً ، ولا تتباين أهدافهم البتة ، وإنما الاختلاف والتباين والتنوع في أدوار كل منهم ، تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والاقليمية التي تتحكم في مساحة تحرك كل إمام على الساحة الإسلامية ، وفي صفوف الأمة.

(١) روى عن الإمام الجواد عليه السلام من أهل السنة إبراهيم بن عبد الحميد الصنعاني ، وإبراهيم بن عقبة ، وإبراهيم بن محمد بن حاجب ، وإبراهيم بن مهديويه ، وأمّية بن علي القيسي الشامي ، وجعفر ابن محمد بن مزيد ، ومنخل بن علي ، وعمار بن زيد الأنصاري ، وعمر بن الفرغ الرخحي وغيرهم.

فهناك دور مفروض للأئمة عليهم السلام في نصّ الشريعة الإسلامية ، وهو دور صيانة تجربة الإسلام.. وتعميق الرسالة فكرياً وروحياً وسياسياً في الأمة.. والمحافظة على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي.

ولقد تمثل الدور الإيجابي لأئمة أهل البيت عليهم السلام ، في أنّهم استطاعوا الإبقاء على المعالم الدينية الأساسية للأمة ، والحفاظ على طابعها الرسالي ، وهويتها الفكرية من ناحية ، ومقاومة التيارات الفكرية التي تشكل خطراً على الرسالة ، وضربها في بدايات تكوينها من ناحية أخرى..^(١)

وبعد ذلك فإنّ الرسالة الإسلامية تعنى بالإنسان من كلّ نواحيه ، وتأخذ بيده إلى كلّ مجالاته ولا تفارقه ، وهو على مخدعه في فراشه ، وهو في بيته بينه وبين ربّه ، بينه وبين نفسه ، بينه وبين أفراد عائلته ، وهو في السوق ، وهو في المدرسة ، وهو في المجتمع ، وهو في السياسة ، وهو في الاقتصاد ، وهو في أي مجال من مجالات حياته^(٢) ، ومن هنا يتوجب في القائد أن يكون على اطلاع ومعرفة بكلّ مناحي الحياة ، واستيعاب لمجمل العلوم التي يحتاجها أهل الأرض ، ولكلّ ما نزل من السماء ، وهو ما لم يتحقق في غير النبي صلّى الله عليه وآله ، ومن أودعهم مكنون علومه من أهل بيته المعصومين المنتجبين الأبرار عليهم السلام .

وقد ورد في الأخبار أن من صفات الإمام عليّ عليه السلام : « أن يكون أعلم الناس بحلال الله وحرامه ، وضروب أحكامه ، وأمره ونهيّه ، وجميع ما يحتاج إليه

(١) أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف / السيد الشهيد محمدباقر الصدر : ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٤٤ ،

(٢) أهل البيت عليهم السلام تنوع أدوار ووحدة هدف / السيد الشهيد محمدباقر الصدر : ٧٥ .

الناس. فيحتاج الناس إليه ، ويستغني عنهم» ^(١).

من هنا نقف على^١ أن علم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام واحد ، فعلم أولهم كعلم آخرهم ، علم إلهامي يتوارثونه خلفاً عن سلف ، صغيرهم وكبيرهم فيه سواء ، بل ورد أن الأئمة عليهم السلام تنتقل إليهم بعض مواريث الأنبياء عليهم السلام أيضاً ، كالسيف والخاتم والعصا ، وغيرها. إضافة إلى ما يعلمونه من أحكام جميع رسالات السماء السابقة. وحديثهم أيضاً واحد ليس فيه اختلاف وتعارض ، وإن ظهر في ألفاظ ومعان مختلفة ؛ لأنه صادر من منبع واحد ، فهم عليهم السلام يحدثون عن آبائهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام عن الله تبارك وتعالى ، وذلك ما جاء في قول الإمام الصادق عليه السلام : « إنَّ حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وحديث علي أمير المؤمنين حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحديث رسول الله قول الله عزَّ وجلَّ » ^(٢).

بعد هذه المقدمة نعود إلى ساحة قدس إمامنا الجواد عليه السلام ، كي نستلهم من فيض علومه ما تتمكن من خلاله رسم خط بياني نستطيع به استشفاف واستقراء نشاط الإمام العلمي خلال حياته القصيرة جداً ، ورغم سني التضييق والإقامة الجبرية في بغداد ، وإن لم تكن معلومة العدد ، إلّا أنها بلا شك ليست قليلة بالنسبة إلى المدة التي عاشها عليه السلام .

دوره في الفقه وأحكام الشريعة :

لفقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام سمات بارزة متميزة عن سائر الفقه السائد

(١) بحار الأنوار / المجلسي ٢٥ : ٦٤ .

(٢) أصول الكافي ١ : ٥٣ / ١٤ (كتاب فضل العلم). والارشاد / الشيخ المفيد ٢ : ١٨٦ .

في مدرسة الرأي ، وخلاصة تلك السمات أنه يستمد مقوماته من القرآن الكريم أولاً ، ثم السنّة الثابتة ثانياً ، ولهذا أصبح فقه مدرسة أهل البيت عليهم السلام هو الامتداد الطبيعي لفقه القرآن الكريم والسنّة المطهرة ، وليس فيه شيء من عمل الرأي أو استعمال القياس والاستحسان وما شابه ذلك ، وهناك عشرات بل مئات الروايات المصرّحة بأنّ كل ما لدى أهل البيت عليهم السلام إنما هو عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم توارثوه واحداً بعد واحد وصولاً إلى الإمام المهدي عليه السلام ^(١).

ويتميّز أيضاً بالشمولية فانه لم يدع ملحظاً كلياً أو جزئياً إلّا وقد بيّنه بمنتهى الدقة والتفصيل ، أما من حيث الامتداد الزمني فهو فقه الأمس واليوم وغداً ، لصلاحيته لكلّ زمان وامتداده إلى حلّ كلّ مشكلات الحياة.

ومما تقدم يتبين أن فقه أهل البيت فقه واحد لا يقبل التفكيك والفصل ، فلا يمكننا أن نقول : إنّ هذا هو فقه الإمام علي عليه السلام وهذا فقه الإمام الصادق عليه السلام وهكذا بالنسبة إلى جميع أئمة أهل البيت المعصومين عليهم السلام.

فحديثنا إذن عن دور الإمام الجواد الفقهي هو عين الحديث عن فقه أهل البيت عليهم السلام الذين أمرنا بطاعتهم والافتداء بهديهم والتمسك بجبلهم ، وذلك أمان من الضلالة بنصّ حديث الثقلين المتواتر عند جميع فرق المسلمين.

أما عن الموارد الفقهية الكثيرة المروية عن الإمام الجواد عليه السلام والتي لا تتسع لها هذه الدراسة الموجزة ؛ فهي دالة بلا شكّ على أنه عليه السلام ملاً الفراغ الفقهي في عصره وأنه قد أغنى الساحة الإسلامية ، وشيعته على وجه

(١) راجع : أصول الكافي ١ / ٢٦٣ - ٣ و ٢ / ٢٦٥ و ٩ / ٢٦٨ وفي غير موضع منه.

الخصوص عن غيره ، فلم يلتمسوا حلول مشكلاتهم واجابات اسئلتهم من أحد غيره ، وهم الطائفة الواسعة الانتشار في شرق بلاد المسلمين وغيرها.

ومن خلال قراءة واستعراض لبعض تلك الموارد نستخلص أن الإمام الجواد عليه السلام كان مبرزاً على جمهور الفقهاء ، وكبار العلماء والقضاة المعاصرين له..

فمن حيث مجلسه عليه السلام في ديوان الخلافة ، ما كان ليجلس إلّا بموازاة مجلس الخليفة ، والعلماء والقضاة في مجلسهم جميعاً كانوا دون مجلسه ، ويمثلون بين يديه — هيبة — عند محادثته..

وأما آراؤه في (العقيدة ، والتفسير ، والفقه) فهي المقدمة على بقية الآراء ؛ لأنها تعكس واقعاً وحقيقة روح الإسلام ، وذلك إذ يتجلى من خلال ما مرّ من مناظرات أو من خلال ما أثبتته لنا التأريخ في قصة الزواج في عهد المأمون.. أو قصة السارق الذي اعترف على نفسه بالسرقة في عهد المعتصم ، وقد طلب السارق من الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه فأرجئ الحكم عليه إلى وقت معلوم. واستدعى المعتصم لذلك جمعاً من العلماء والقضاة إلى مجلسه للحكم في القضية ، واستدعى من جملة من استدعى الإمام الجواد عليه السلام إلى ذلك المجلس الضخم الذي عقده لهذا الغرض ، وكان الإمام عليه السلام يومذاك الشاب ابن الخامسة والعشرين سنة أو نحوها.

ورغم أن الرواية التي بين أيدينا لم تُسمّ الفقهاء الذين حضروا مجلس الحكم ، ولا عددهم ؛ لكن بدهاءة يمكن الجزم — ويشاركنا هذا الرأي كلّ أحد — بأن الخليفة ما استدعى إلى مجلسه إلّا الطبقة الأولى من فقهاء بغداد ، ومحدثيها المرموقين ، وقضاةها المتمكنين ، لا ضعافها ومغموريها أو

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٩٥

أذنب الناس وشذأهم. وعليه نستطيع أن نشخص مجموعة من فقهاء تلك المرحلة ، ورؤوس مذاهبها ، وأكابر قضائها من الذين يمكن أن يُستدعون إلى ديوان الخلافة ؛ لإبداء رأي فقهي ، أمثال : إبراهيم بن سيّار بن النّظام (ت / ٢٣١ هـ) ، إبراهيم بن المهدي المصيبي (ت / ٢٢٥ هـ) ، أبو ثور إبراهيم ابن خالد الكلبي البغدادي (ت / ٢٤٠ هـ) ، أبو حسان الزّيادي الحسن بن عثمان (ت / ٢٤٢ هـ) وقيل : أبو حيّان ، أبو خيثمة زهير بن حرب النسائي (ت / ٢٣٤ هـ) ، أبو معمر الهذلي (ت / ٢٣٦ هـ) ، أبو نصر التّمّار ، أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف العبدي (ت / ٢٣٥ هـ) كان نسيج وحده وعالم دهره ، لم يتقدمه أحد من الموافقين له ولا من المخالفين ، أحمد بن إبراهيم الدورقي العبدي (ت / ٢٤٦ هـ) ، أحمد بن أبي دوّاد (ت / ٢٤٠ هـ) قاضي قضاة الدولة العباسية ، أحمد بن حنبل (ت / ٢٤١ هـ) ولو أنه لم يكن يحضر مجالس الخلفاء إلّا أنه لا يمنع أن يجيب إذا استدعي ، أحمد بن الفرات (ت / ٢٥٨ هـ) ، أحمد بن منيع البغوي (ت / ٢٤٤ هـ) ، إسحاق بن أبي إسرائيل ، إسماعيل بن إسحاق السّراج ، إسماعيل بن أبي أويس (ت / ٢٢٦ هـ) وهو ابن أخت مالك بن أنس ، إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة ولي القضاء للمعتصم بعد ابن سماعة ، بشر بن المعتمر الهلالي رئيس معتزلة بغداد في زمانه ، بشر ابن الوليد الكندي الخنفي (ت / ٢٣٨ هـ) ، ثمامة بن الأشرس وكان واحد دهره في العلم والأدب ، جعفر بن حرب الهمداني (ت / ٢٣٦ هـ) ، جعفر ابن عيسى الحسيني أحد القضاة ، جعفر بن مبشر الثقفي (ت / ٢٣٤ هـ) ، الحسن ابن عرفة العبدي (ت / ٢٥٧ هـ) ، حفص بن عمر بن عبدالعزيز الدوري البغدادي (ت / ٢٤٦ هـ) إمام القراء وشيخ زمانه ، حيّان بن بشر تسلّم قضاء الكرخ سنة (٢٣٧ هـ) ، خلف بن هشام البزار (ت / ٢٢٩ هـ) ، سجّادة أبو علي

٩٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام

الحسن بن حمّاد الحضرمي البغدادي (ت / ٢٤١ هـ) من أجلة العلماء في زمانه ، سعدويه الواسطي سعيد بن سليمان (ت / ٢٢٥ هـ) ، سليمان بن داود العتكي (ت / ٢٣٤ هـ) ، سوار بن عبدالله العبري التميمي (ت / ٢٤٥ هـ) تسلّم قضاء الرصافة سنة (٢٣٧ هـ) ، شجاع بن مخلد الفلاس البغوي (ت / ٢٣٥ هـ) ، شعيب بن سهل الرازي الملقّب شعبويه (ت / ٢٤٦ هـ) قاضي الرصافة للمعتصم العباسي ، عبدالرحمن بن إسحاق الشافعي القاضي ، عبدالرحمن ابن كيسان الأصب ، عبيدالله بن محمد بن الحسن ، علي بن الجعد الجوهري البغدادي (ت / ٢٣٠ هـ) الحافظ الحجة مُسند بغداد ، علي بن الجنيد الإسكافي ، عيسى ابن صُبيح أبو موسى من علماء المعتزلة والمقدمين فيهم ، قتيبة بن سعد ، القواريري عبيدالله بن عمر ، كامل بن طلحة الجحدري (ت / ٢٣١ هـ) ، المحاسي الحارث بن أسد (ت / ٢٤٣ هـ) ، محمد ابن بكار بن الريان البغدادي (ت / ٢٣٨ هـ) ، محمد بن حاتم بن ميمون السمين (ت / ٢٣٥ هـ) الحافظ المجدّد المفسّر ، محمد بن الحسين البرجلاني الحنبلي (ت / ٢٣٨ هـ) ، محمد بن حمّاد وكان مقرباً من المأمون العباسي ، محمد بن سعد (ت / ٢٣٠ هـ) صاحب الطبقات الكبرى ، محمد بن سماعة (ت / ٢٣٣ هـ) تولى القضاء للرشيد وبقي فيه إلى أن ضعف بصره في عهد المعتصم فصرفه عنه باسماعيل بن حمّاد وتوفي وله مئة وثلاث سنين ، محمد بن عبدالله بن المبارك المخرمي (ت / ٢٥٤ هـ) ، محمد بن هارون الورّاق (ت / ٢٤٧ هـ) ، النضر بن شميل ، هارون بن عبدالله الحمّال البغدادي (ت / ٢٤٣ هـ) ، هارون بن عبدالله الزهري (ت / ٢٣٢ هـ) ، يحيى ابن أكثم التميمي المروزي البغدادي (ت / ٢٤٢ هـ) قاضي القضاة الفقيه العلّامة من أئمة الاجتهاد ، يحيى بن معين أبو زكريا المرّي البغدادي (ت / ٢٣٣ هـ)

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٩٧
الحافظ شيخ الحديثين وإمامهم ، يعقوب بن إبراهيم الدورقي (ت / ٢٥٢ هـ)
محدث العراق ^(١).

وأضراب هؤلاء كثير مما يطول به المقام من الذين كانوا يبغداد يومذاك
ويشار إليهم بالمشيخة والتفرد بالفضل والعلم.

فالرواية التي ينقلها العياشي عن زرقان وهو محمد بن شداد أبو يعلى
المسمعي (ت / ٢٧٨ أو ٢٧٩ هـ) وقد عمّر طويلاً ، وهو أيضاً من الفقهاء
والمتكلمين. قال العياشي : عن زرقان صاحب ابن أبي دؤاد وصديقه بشدة ،
قال : رجع ابن أبي دؤاد ذات يوم من عند المعتصم وهو مغتم ، فقلت له في
ذلك ، فقال : وددت اليوم أني قد متُّ منذ عشرين سنة ، قال : قلت له : ولم
ذاك ؟ قال : لما كان من هذا الأسود أبا جعفر محمد بن علي ابن موسى اليوم
بين يدي أمير المؤمنين المعتصم ، قال : قلت له : وكيف كان ذلك ؟ قال :
إنَّ سارقاً أقرَّ عليّ نفسه بالسرقه ، وسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدِّ عليه ،
فجمع لذلك الفقهاء في مجلسه ، وقد أحضر محمد بن علي عليه السلام ، فسألنا عن
القطع في أيِّ موضع يجب أن يقطع ؟ قال : فقلت : من الكرسوع ، قال : وما
الحجة في ذلك ؟ قال : قلت : لأنَّ اليد هي الأصابع والكف إلى الكرسوع ؛

١) اعتمدنا في استخلاص هذه الجمهرة من علماء وقضاة بغداد المعاصرين للإمام الجواد عليه السلام في تلك
الفترة : البداية والنهاية ١٠ : ٢٩٩ حوادث سنة (٢١٨ هـ) . وتاريخ أبي الفداء ١ : ٣٤٠ . وتاريخ
الخلفاء / السيوطي : ٣٠٩ - ٣١٢ بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد . وتاريخ الطبري ٧ : ١٨٧ —
٢٠٦ حوادث سنة (٢١٨ هـ) . وطبقات الفقهاء / أبو إسحاق الشيرازي الشافعي (ت / ٤٧٦ هـ) .
والكامل في التاريخ ٦ : ٣ - ٦ مراجعة وتصحيح الدكتور محمد يوسف الدقاق . ومحاضرات تاريخ
الأمم الإسلامية / الحضري ٢ : ٢١٢ - ٢١٥ . والوفيات / ابن قنفذ (ت / ٨٠٩ هـ) وغيرها.

لقول الله في التيمم: ﴿فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ﴾^(١) واتفق معي على ذلك قوم.

وقال آخرون: بل يجب القطع من المرفق، قال: وما الدليل على ذلك؟ قالوا: لأن الله لما قال: ﴿وَأَيْدِيكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾^(٢) في الغسل دل ذلك على أن حد اليد هو المرفق، قال: فالتفت إلى محمد بن علي عليه السلام، فقال: ما تقول في هذا يا أبا جعفر؟ فقال: قد تكلم القوم فيه يا أمير المؤمنين، قال: دعني مما تكلموا به، أي شيء عندك؟ قال: اعفني عن هذا يا أمير المؤمنين. قال: أقسمت عليك بالله لما أخبرت بما عندك فيه، فقال: أما إذا أقسمت عليّ بالله إني أقول إنهم أخطأوا فيه السنة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكف. قال: وما الحجة في ذلك؟ قال: قول رسول الله صلّى الله عليه وآله: السجود على سبعة أعضاء: الوجه واليدين والركبتين والرجلين^(٣). فإذا قطعت يده من الكرسي أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾^(٤) يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾^(٥) وما كان لله لم يقطع، قال: فأعجب المعتصم ذلك وأمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف، قال ابن أبي دؤاد: قامت قيامتي وتمنيت أني لم أك

(١) سورة النساء: ٤ / ٤٣.

(٢) سورة المائدة: ٥ / ٦.

(٣) صحيح البخاري ١: ٢٨٠ / ٧٧٦ و ٧٧٧ باب السجود على سبعة أعظم أخرجه عن ابن عباس. والجامع الصحيح ١: ٤٤٦ / ٢٣١ (٤٩١) أخرجه عن العباس بن عبدالمطلب. وكذا الأحاديث ٢٢٧ — ٢٣٠. وسنن ابن ماجه ١: ٢٨٢ / ٨٨٤ و ٨٨٥.

٤ و ٥) سورة الجن: ٧٢ / ١٨.

فلسان الرواية يبيّن أن الخليفة أعدّ مسبقاً لذلك المجلس جمعاً غفيراً من الفقهاء للحكم في هذه المسألة ، ويبدو أيضاً أنه اختارهم على مختلف المشارب والاتجاهات الفقهية والفكرية؛ لأنّ الوقت آنذاك كان وقت كلام ومساجلات وتعدد في الآراء الفقهية.

دوره في تفسير القرآن :

من نافلة القول إن الأئمة من أهل البيت النبوي الطاهر عليهم السلام ، هم الراسخون في العلم ، المفسرون للقرآن الكريم كما أنزله الله وأراده حقيقة ، وهم وحدهم العاملون بتأويله ، والدليل على ظاهره وباطنه. وليس بدعاً من القول إذا سلّمنا بأنهم عدل القرآن ؛ للنبوي الصحيح المروي في المدوّنات الحديثية لدى الفريقين سواء بسواء ، ذلك هو حديث : « إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً »^(٢).

إذا علمت هذا ، فينبغي بمن هو عدل الكتاب وقرينه ، أن يكون عالماً بكل آياته ، ومحيطاً بجميع أسرارهِ ومحكمه ومتشابهه ، ناسخه ومنسوخه ، وهكذا كان أهل البيت عليهم السلام قرآناً ناطقاً يهدي للتي هي أقوم ، ويشير

(١) تفسير العياشي ١ : ٣١٩ - ٣٢٠ / ١٠٩ طبع طهران بتحقيق السيد هاشم الرسولي الخلاتي.

(٢) الحديث روي في العديد من المصادر التي لا يمكن حصرها هنا نذكر منها : صحيح مسلم ٤ : ١٨٧٣ / ٢٤٠٨ . ومسنّد أحمد ٥ : ١٨٩ . وسنن الدارمي ٢ : ٤٣١ - ٤٣٢ . ومصنّف ابن أبي شيبة ١١ : ٤٥٢ / ١١٧٢٥ . وصحيح الترمذي ٥ : ٦٦٢ / ٣٧٨٦ . وللمزيد راجع : دفاع عن الكافي / ثامر العميدي ١ : ١٤٤ - ١٥٣ ففيه تفاصيل عن ألفاظ الحديث وطرقه ودلالاته ومصادره.

المؤمنين بخط ولايتهم بأن لهم قدم صدق عند مليك مقتدر.

وعلى الرغم من أن ما وصل إلينا عن الأئمة الميامين عليهم السلام بشأن القرآن الكريم وتفسيره لا يشكل إلّا نزرًا يسيرًا لما يمتلكون من حصيلة علمية ، وثراء فكري ليس لهما حدود ، إلّا أن المتصدي لتفسير القرآن الكريم لا يمكنه الاستغناء عن تفسيرهم عليهم السلام لما فيه من سمات أصيلة لفهم كتاب الله ، أبرزها تفسير القرآن بالقرآن ، والقول بسلامة القرآن من التحريف وغيرها من المبادئ الأساسية لادراك معاني الكتاب الكريم.

وإمامنا الجواد عليه السلام هو واحد من تلك الكوكبة ، لا يمكن الاستغناء عما وصلنا عنه في التفسير بحال ، وهو كثير جداً لو استُخرج من مظانه ، وجمع شتاته.

ومن أمثلة تفسيره عليه السلام ، ما نقله الكليني في الكافي بسنده عن داود بن القاسم أبي هاشم الجعفري الذي قال : قلت لأبي جعفر عليه السلام سائلاً عن معنى : ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ ^(١).

فقال عليه السلام : « يا أبا هاشم ، أوهام القلوب أدق من أبصار العيون ، أنت قد تدرك بوهمك السند والهند ، والبلدان التي لم تدخلها ، ولا تدركها ببصرك ، وأوهام القلوب لا تدركه ، فكيف أبصار العيون ؟! » ^(٢).

ونقل شيخ الطائفة في تهذيبه ، بسنده عن السيد (عبدالعظيم بن عبدالله الحسيني ، عن أبي جعفر محمد بن علي الرضا عليه السلام أنه قال : سألته عمّا أهلّ

(١) سورة الأنعام : ٦ / ١٠٣ .

(٢) أصول الكافي ١ : ٩٩ / ١١ .

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ١٠١

غير الله. قال : « ما ذُبِحَ لَصْنَمٍ أَوْ وَثْنٍ أَوْ شَجَرٍ ، حَرَّمَ اللَّهُ ذَلِكَ كَمَا حَرَّمَ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْحَتِيرِ ﴿١﴾ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴿٢﴾ » (١) أن يأكل الميتة ». قال : فقلت له : يابن رسول الله ، متى تحل للمضطر الميتة ؟ فقال : « حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُئِلَ فَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ نَكُنْ بِأَرْضٍ فَتَصَيَّنَا الْمَخْمَصَةَ ، فَمَتَى تَحَلُّ لَنَا الْمَيْتَةَ ؟ قَالَ : مَا لَمْ تَصْطَبِحُوا أَوْ تَغْتَبِقُوا أَوْ تَحْنُقُوا بَقْلًا ، فَشَأْنَكُمْ بِهَذَا ».

قال عبدالعظيم : فقلت له : يابن رسول الله فما معنى قوله عز وجل : ﴿ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾ ؟ قال : « العادي : السارق ، والباغي : الذي يبغي الصيد بطراً ولهوياً ؛ ليعود به على عياله ، ليس لهما أن يأكلا الميتة إذا اضطرراً ، هي حرام عليهما في حال الاضطرار كما هي حرام عليهما في حال الاختيار ، وليس لهما أن يقصرا في صوم ولا صلاة في سفر ».

قال : قلت له : فقول الله تعالى : ﴿ وَالْمُنْحِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ ﴾ (٢). قال : « المنخقة : التي انخقت بأخناقها حتى تموت. والموقوذة : التي مرضت ووقذها المرض حتى لم تكن بها حركة. والمتردية : التي تتردى من مكان مرتفع إلى أسفل أو تتردى من جبل أو في بئر فتموت. والنطيحة : التي تنطحها بهيمة أخرى فتموت. وما أكل السبع منه فمات. وما ذُبِحَ عَلَى حَجَرٍ أَوْ عَلَى صَنْمٍ ، إِلَّا مَا أُدْرِكَتْ ذَكَاتُهُ فَذَكِّي ».

قلت : ﴿ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ﴾ ؟ قال : « كانوا في الجاهلية يشترون بعيراً فيما بين عشرة أنفس ، ويستقسمون عليه بالقداح ، وكانت عشرة ، سبعة

(١) سورة المائدة : ٥ / ٣.

(٢) سورة البقرة : ٢ / ١٧٣.

١٠٢ الإمام محمد الجواد عليه السلام
 لهم أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها. أما التي لها أنصباء: فالفدّ، والتوأم، والنفاس،
 والحلس، والمسيل، والمعلّى، والرقيب^(١). وأما التي لا أنصباء لها: فالسفع،
 والمنيح، والوغد. وكانوا يجيئون السهام بين عشرة، فمن خرج باسمه سهم
 من التي لا أنصباء لها ألزم ثلث ثمن البعير، فلا يزالون كذلك حتى تقع السهام
 التي لا أنصباء لها إلى ثلاثة، فيلزم ثمن البعير، ثم ينحرونه ويأكل السبعة الذين
 لم ينقدوا في ثمنه شيئاً، ولم يطعموا منه الثلاثة شيئاً. فلما جاء الإسلام حرّم
 الله تعالى ذكره ذلك فيما حرّم، وقال: ﴿وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلامِ ذَلِكُمْ
 فِسْقٌ﴾ يعني حراماً^(٢).

دوره في ترسيخ العقائد الإسلامية:

في هذا المقطع التاريخي الذي عاصره الإمام الجواد عليه السلام كانت حمّى
 ظهور المذاهب الكلامية والعقائدية تأخذ بالانتشار هنا وهناك، يساعد على
 ذلك توجه الحاكم نفسه إلى اللعب بالورقة المذهبية من جهة وظهور طبقة
 من وعّاظ السلاطين نظّمت نفسها وكيفتها على نمط خاص للدخول في
 اكمام السلطان والعيش تحت آباطه، قانعين بما ينالهم من تنانة الموقع،
 والإذلال والصغار، مقابل أن يُحرّموا من بذخ القصور، ودعة العيش،
 وفاخر الثياب، وبدر الدراهم.

وتموج الأمة في ضلال تيارات عقيدية وفكرية عديدة فمن مشبّهة إلى
 معطّلة إلى مجبرة إلى غير ذلك من العقائد الباطلة والدعاوى المنحرفة، التي
 أثّرت في عصره عليه السلام، مما لا تتسع له صفحاتنا هذه، وكان للإمام الجواد عليه السلام

(١) وقيل في ترتيبها غير ذلك.

(٢) تهذيب الأحكام ٩: ٨٣ / ٣٥٤.

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ١٠٣
دور بارز في ترسيخ العقائد الإسلامية والدفاع عنها ، وتصحيح معتقدات
الناس مما قد يخطر في أذهانهم من تصورات خاطئة حول أصول الاعتقاد.

التوحيد والصفات :

فعندما يُسئل من قبل عبدالرحمن بن أبي نجران عن التوحيد حين قال
له : أتوهم شيئاً ؟

أجابته الإمام عليه السلام من فوره : « نعم ، غير معقول ولا محدود ، فما وقع وهمك
عليه من شيء فهو خلافه ، لا يشبهه شيء ، ولا تدركه الأوهام.

كيف تُدركه الأوهام وهو خلاف ما يُعقل ، وخلاف ما يُتصور في الأوهام ؟
إنما يتوهم شيء غير معقول ولا محدود » ^(١).

ويُسأل الإمام عليه السلام أيضاً عن الباري تبارك وتعالى أنه يجوز أن يقال له : إنه
شيء ؟

(قال : « نعم ، يُخرجه من الحدين : حدّ التعطيل ، وحدّ التشبيه ») ^(٢).

وفي الكافي أيضاً أن عبدالرحمن بن أبي نجران كتب إلى أبي جعفر عليه السلام
أو سأله قائلاً : (جعلني الله فداك ، نعبد الرحمن الرحيم الواحد الأحد
الصمد ؟

فقال : « إن من عبد الإسم دون المسمّى بالأسماء أشرك وكفر وجحد ، ولم
يعبد شيئاً ، بل عبُد الله الواحد الأحد الصمد المسمّى بهذه الأسماء ، دون

(١) أصول الكافي ١ : ٨٢ / ١ باب إطلاق القول بأنه شيء من كتاب التوحيد.

(٢) أصول الكافي ١ : ٨٢ / ٢ . وراجع : التوحيد / الصدوق : ١٠٧ .

١٠٤ الإمام محمد الجواد عليه السلام
الأسماء. إنَّ الأسماء صفات وصف بها نفسه » (١).

وفي إطار الأسماء والصفات لله تبارك وتعالى^١ ، يسأله داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري عن معنى الواحد الواحد. فيجيبه الإمام عليه السلام قائلاً : « إجماع الألسن عليه بالوحدانية ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِهِمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ » (٢).

وروى داود بن القاسم أبو هاشم الجعفري أن رجلاً ناظر الإمام الجواد عليه السلام في أسماء الله تعالى وصفاته ، فقال : (كنت عند أبي جعفر الثاني عليه السلام فسأله رجل فقال : أخبرني عن الرب تبارك وتعالى ، له أسماء وصفات في كتابه ؟ وأسماءه وصفاته هي هو ؟

فقال أبو جعفر عليه السلام : « إنَّ هذا الكلام وجهين :

إن كنت تقول : هي هو ، أي أنه ذو عدد وكثرة فتعالى الله عن ذلك.

وإن كنت تقول : هذه الصفات والأسماء لم تنزل فإنَّ (لم تنزل) محتمل معنيين : فإن قلت : لم تنزل عنده في علمه وهو مستحقها ، فنعم.

وإن كنت تقول : لم يزل تصويرها وهجاؤها وتقطيع حروفها ، فمعاذ الله أن يكون معه شيء غيره ، بل كان الله ولا خلق ، ثم خلقها — أي الأسماء — وسيلة بينه وبين خلقه يتصرّعون بها إليه ، ويعبدونه وهي ذكره.

وكان الله ولا ذكر ، والمذكور بالذكر هو الله القديم الذي لم يزل ، والأسماء والصفات مخلوقات. والمعاني والمعنيُّ بها هو الله الذي لا يليق به الاختلاف ولا الائتلاف وإنما يختلف ويأْتلف المتجرّئ ، فلا يقال : الله مؤتلف ، ولا : الله

(١) أصول الكافي ١ : ٨٧ / ٣ باب المعبود من كتاب التوحيد.

(٢) أصول الكافي ١ : ١١٨ / ١٢ . والآية من سورة الزخرف : ٤٣ / ٨٧.

قليل ، ولا كثير ، ولكنه القديم في ذاته ؛ لأن ما سوى الواحد متجزئ ، والله واحد لا متجزئ ، ولا متوهم بالقلّة والكثرة ، وكلّ متجزئ أو متوهم بالقلّة والكثرة فهو مخلوق دالٌّ على خالقيّ له.

فقولك : (إن الله قدير) ، خبرت أنه لا يعجزه شيء فنفيت بالكلمة العجز ، وجعلت العجز سواه. وكذلك قولك : (عالم) ، إنما نفيت بالكلمة الجهل ، وجعلت الجهل سواه. وإذا أفنى الله الأشياء أفنى الصورة والهجاء والتقطيع ، ولا يزال من لم يزل عالماً .» .

فقال الرجل : فكيف سَمِّينا ربَّنَا سَمِيعاً ؟

فقال الإمام : « لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأسماع ، ولم نصفه بالسمع المعقول في الرأس ، وكذلك سَمِّيناه بصيراً ؛ لأنّه لا يخفى عليه ما يُدرك بالأبصار. من لون أو شخص أو غير ذلك ، ولم نصفه ببصر لحظة العين.

وكذلك سَمِّيناه لطيفاً لعلمه بالشيء اللطيف مثل البعوضة وأخفى من ذلك ، وموضع النشوء منها ، والعقل والشهوة للسفاد والحذب على نسلها ، وإقام بعضها على بعض ، ونقلها الطعام والشراب إلى أولادها في الجبال والمفاوز والأودية والقفار. فعلمنا أنّ خالقها لطيف بلا كيف ، وإنّما الكيفية للمخلوق المكيف.

وكذلك سَمِّينا ربَّنَا قوياً لا بقوة البطش المعروف من المخلوق ، ولو كانت قوته قوة البطش المعروف من المخلوق لوقع التشبيه ولاحتمل الزيادة ، وما احتمل الزيادة احتمل النقصان ، وما كان ناقصاً كان غير قديم ، وما كان غير قديم كان عاجزاً.

فربَّنَا تبارك وتعالى لا شبه له ولا ضدّ ، ولا ندّ ، ولا كيف ، ولا نهاية ، ولا

١٠٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام تبصار بصر. ومحرم على القلوب أن تُمثله ، وعلى الأوهام أن تحدّه ، وعلى الضمائر أن تكونه جلّ وعزّ عن أداة خلقه ، وسمات بريّته ، وتعالى عن ذلك علواً كبيراً » (١) .

الفرق المنحرفة :

في رجال الكشي عن علي بن مهزيار قال : (سمعتُ أبا جعفر عليه السلام يقول — وقد ذكر عنده أبو الخطّاب (٢) — : « لعن الله أبا الخطّاب ، ولعن أصحابه ، ولعن الشاكّين في لعنه ، ولعن من وقف فيه ، وشك فيه ... » (٣) .

وبالإضافة إلى لعن الإمام عليه السلام لأبي الخطّاب وأصحابه ، فإنّه عليه السلام وقف موقفاً حاسماً من الفرقة الواقفية وغيرها. فقد أورد الكشي بسنده عن محمد بن رجاء الحنّاط ، عن محمد بن علي الرضا عليه السلام أنّه قال : « الواقفة همير الشيعة .»

(١) أصول الكافي ١ : ١١٦ / ٧ . وراجع : التوحيد / الصدوق : ١٩٣ .

(٢) أبو الخطّاب : هو محمد بن أبي زينب مقلص الأسدي الكوفي الأجدع. كان في بادئ أمره من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام ، ثم انحرف عن خط أهل البيت عليهم السلام ، بل وعن الدين ، فأخذ ينسب أباطيله وعقائده الفاسدة إلى الإمام الصادق عليه السلام كذباً وزوراً ، وتبعه عدد من المضللّين والنفعيّين حتى شكّلوا فرقة سمّيت فيما بعد بالخطّابية. من عقائدهم زعموا أن الصلاة والصيام والتكليف الأخرى ، والخمر والزنا والسرقه وغيرها هي أسماء رجال ، والآيات القرآنية الآمرة بأداء تلك الأعمال والناهية عنها ، إنّما هي آمرة محبة أولئك الرجال أو النهي عن محبتهم فقط. كما أظهروا كثيراً من البدع والضلالات والإباحات ، حتى وصل بهم الأمر إلى الدعوة إلى نبوة أبي الخطّاب. بعث إليهم والي المدينة جيشاً — بعد أن استفحل أمرهم — فقاتلوهم حتى أبادوهم عن آخرهم إلّا رجلاً واحداً منهم نجى من القتل.

(٣) اختيار معرفة الرجال : ٥٢٨ / ١٠١٢ .

ثم تلا قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾ (١).

كما تجلّى موقفه الحاسم هذا في نهيه عن التعامل مع الفطحية والواقفة ولم يجوز الصلاة خلف أحدهم (٢).

الردّ على الأحاديث الموضوعية :

وفي إطار البحوث العقائدية ردّ الإمام الجواد عليه السلام على جملة وافية من الأحاديث الموضوعية في فضائل بعض الصحابة ، التي روّج لها بنو أمية منذ زمان معاوية بن أبي سفيان ، وصرفوا الأموال الطائلة في سبيل وضعها ونشرها ، وذلك لبلوغ أهدافهم السياسية والحفاظة على أركان ملكهم واستمرار تسلطهم غير المشروع على الخلافة الاسلامية.

فقد روي أن ابن أكرم ناظر الإمام أبا جعفر عليه السلام بمحضر المأمون وجماعة كبيرة من أركان دولته وخاصته ، فقال يحيى للإمام عليه السلام : ما تقول يا ابن رسول الله في الخبر الذي روي أن جبرائيل نزل على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال : يا محمد إن الله يقرؤك السلام ، ويقول لك : سل أبا بكر هل هو راضٍ عني ، فأبى راضٍ عنه ؟

فقال عليه السلام : « لست بمنكر فضل أبي بكر ، ولكن يجب على صاحب هذا الخبر أن يأخذ مثال الخبر الذي قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع : قد كثرت عليّ الكذابة وستكثر ، فمن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار ، فإذا أتاكم الحديث فاعرضوه عليّ كتاب الله وسنتي فما وافق كتاب الله وسنتي فخذوا به ، وما خالف كتاب الله وسنتي فلا تأخذوا به. وليس يوافق هذا الخبر

(١) سورة الفرقان : ٢٥ / ٤٤ .

(٢) راجع : تهذيب الأحكام ٣ : ٢٨ / ٩٨ .

كتاب الله ، قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾ ^(١) فالله عزَّ وجلَّ خفي عليه رضا أبي بكر من سخطه حتى سأل عن مكنون سرِّه؟! هذا مستحيل في العقول .»

ثم قال يحيى بن أكثم : وقد روي أنَّ مثل أبي بكر وعمر في الأرض كمثل جبرئيل وميكائيل في السماء.

فقال الإمام عليه السلام : « وهذا أيضاً يجب أن يُنظر فيه ؛ لأن جبرئيل وميكائيل ملكان لله مقربان ، لم يعصيا الله قط ، ولم يفارقا طاعته لحظة واحدة. وهما — أي أبو بكر وعمر — قد أشركا بالله عزَّ وجلَّ ، وإن أسلما بعد الشرك ، وكان أكثر أيامهما في الشرك بالله ، فمحال أن يُشبههما بهما.. .»

قال يحيى : وقد روي أنهما سيذا كهول أهل الجنة ، فما تقول فيه ؟

فقال عليه السلام : « وهذا محال أيضاً ؛ لأنَّ أهل الجنة كلَّهم يكونون شباباً ، ولا يكون فيهم كهول ، وهذا الخبر وضعه بنو أمية لمضادة الخبر الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الحسن والحسين بأنهما سيذا شباب أهل الجنة .»

فقال يحيى بن أكثم : وروي أن عمر بن الخطَّاب سراج أهل الجنة.

فقال عليه السلام : « وهذا أيضاً محال ؛ لأنَّ في الجنة ملائكة الله المقربين ، وآدم ، ومحمداً وجميع الأنبياء والمرسلين ، لا تضيء بأنوارهم حتى تضيء بنور عمر؟! .»

قال يحيى : وروي أنَّ السكينة تنطق على لسان عمر.

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لست بمنكر فضائل عمر ، لكنّ أبا بكر — وأنه أفضل من عمر — قال على رأس المنبر : إن لي شيطاناً يعتريني ، فإذا ملتُ فسدّ دوني » .

فقال يحيى : قد روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لو لم أبعث لبعث عمر .

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كتاب الله أصدق من هذا الحديث ، يقول الله في كتابه : ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ ﴾ ^(١) فقد أخذ الله ميثاق النبيين ، فكيف يمكن أن يستبدل ميثاقه ؟ وكان الأنبياء لم يشركوا طرفة عين ، فكيف يبعث بالنبوة من أشرك ، وكان أكثر أيامه مع الشرك بالله !؟ وقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : نُبِّئْتُ وَآدَمَ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ » .

قال يحيى : وقد روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : ما احتبس الوحي عني قط إلّا ظننته قد نزل على آل الخطاب .

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وهذا محال أيضاً؛ لأنه لا يجوز أن يشكّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في نبوته ، قال الله تعالى : ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ ^(٢) . فكيف يمكن أن تنتقل النبوة ممن اصطفاه الله إلى من أشرك به ؟ » .

قال يحيى : روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : لو نزل العذاب لما نجى منه إلّا عمر .

فقال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « وهذا محال أيضاً ، إن الله تعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ ^(٣) فأخبر سبحانه أنه لا يعذب أحداً مادام فيهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وما داموا يستغفرون الله تعالى » .

(١) سورة الأحزاب : ٣٣ / ٧ .

(٢) سورة الحج : ٢٢ / ٧٥ .

(٣) سورة الأنفال : ٨ / ٣٣ .

فأفحم يحيى بن أكنم وسكت ، بعد أن أعيته أجوبة الإمام عليه السلام عن إيجاد مخرج لما تورط فيه ^(١).

توظيف المعجزة والكرامة في الهداية والارشاد :

الحدث المعجز إنّما يجريه الله سبحانه وتعالى على يد أنبيائه ورسوله أو أوصيائهم ؛ للتدليل على أن النبي المرسل أو الوصي المختار مرتبط بالسماء بشكل أو بآخر ، وأن المعجزة — وهي أمر خارق للعادة الطبيعية — هي تأكيد لدعوى النبي بأنه ينطق عن السماء ، وأن ما يأتي به من تعاليم إنّما تصدر عن الله تبارك وتعالى ؛ وتأييد لدعوى الوصي أو الإمام المعصوم أيضاً بأنه يتصل بالنبوة التي هي بدورها من مختصات السماء.

ولقد وظّف أئمة أهل البيت عليهم السلام المعاجز والكرامات التي كانت تجري على أيديهم في استقطاب أفراد الأمة حول محور الإمامة ، ثم إرشادهم وهدايتهم نحو المسار الصحيح.

ومن ذلك ، الخبر الذي يبيّن بجلاء توظيف الإمام عليه السلام للمعجزة في هداية الناس إلى طريق الحق ، وإلفات نظرهم إلى عظيم منزلة أئمة أهل البيت عليهم السلام عند الله سبحانه. فقد جاء عن علي بن خالد ، قال : كنت بالعسكر ، فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أُتي به من ناحية الشام مكبولاً ، وقالوا : إنّّه تنبأ ^(٢).

قال : فأتيت الباب وداريت البوّابين حتى وصلت إليه ، فإذا رجل له فهم

(١) الاحتجاج / الطبرسي ٢ : ٢٤٥ طبعة النجف — دار النعمان ١٣٨٦ هـ ، تعليق السيد محمد باقر الخرسان.

(٢) تنبأ أي ادّعى النبوة.

وعقل ، فقلت له : يا هذا ما قصتك ؟

فقال : إني كنت رجلاً بالشام أعبد الله في الموضع الذي يقال إنه نُصب فيه رأس الحسين عليه السلام فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبلاً على المحراب أذكر الله تعالى إذ رأيت شخصاً بين يديّ ، فنظرت إليه . فقال لي : قم ، فقمتم معه فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة ، قال : فصلّي فصلّيت معه ثم انصرف وانصرفت معه ، فمشى قليلاً فإذا نحن بمسجد الرسول صلّى الله عليه وآله وسلّم فسلم على رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم وصلّي وصلّيت معه ، ثم خرج وخرجت معه فمشى قليلاً فإذا أنا بمكة ، فطاف بالبيت وطفتم معه ، ثم خرج فمشى قليلاً فإذا أنا بموضعي الذي كنت أعبد الله تعالى فيه بالشام ، وغاب الشخص عن عيني ، فبقيت متعجباً حولاً مما رأيت .

فلما كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ، ودعاني فأجبتة ، ففعل كما فعل في العام الماضي ، فلمّا أراد مفارقتي بالشام قلت له : سألتك بحقّ الذي أفدرك على ما رأيت منك إلّا أخبرتني من أنت ؟

فقال : « أنا محمد بن علي بن موسى بن جعفر » .

فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره ، فرقي ذلك إلى محمد بن عبد الملك الزيّات ، فبعث إليّ فأخذني وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبست كما ترى ، وأدّعي عليّ المحال .

فقلت له : فأرفع عنك قصة إلى محمد بن عبد الملك الزيّات .

فقال : إفعل .

فكتبت عنه قصة شرحت أمره فيها ورفعتها إلى محمد بن عبد الملك

الزيّات ، فوَّع في ظهرها : قل للذي أخرجك من الشام في ليلة إلى الكوفة ومن الكوفة إلى المدينة ومن المدينة إلى مكة وردَّك من مكة إلى الشام ، أن يخرجك من حبسك هذا.

قال علي بن خالد : فغمي ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً عليه ، فلما كان من الغد باكرت الحبس لأعلمه بالحال وأمره بالصبر والعزاء ، فوجدت الجنود وأصحاب الحرس وأصحاب السجن وخلقاً عظيماً من الناس يهرعون ، فسألت عن حالهم فقبل لي : المحمول من الشام المتنبئ افتقد البارحة من الحبس ، فلا يُدرى أُخسِفَت به الأرض أو اختطفته الطير !

وكان هذا الرجل — أعني علي بن خالد — زيدياً ، فقال بالإمامة لما رأى ذلك وحسَنَ اعتقاده ^(١).

وروي عن القاسم بن المحسن ^(٢) ، قال : كنت فيما بين مكة والمدينة فمرَّ بي أعرابي ضعيف الحال ، فسألني شيئاً فرحمته وأخرجت له رغيفاً فناولته إياه ، فلما مضى عني هبَّت ريح شديدة — زوبعة — فذهبت بعمامتي من رأسي ، فلم أرها كيف ذهبت ؟ وأين مرَّت ؟ فلما دخلت على أبي جعفر بن الرضا عليه السلام ، فقال لي : « يا قاسم ! ذهبت عمامتك في الطريق ؟ ».

قلت : نعم.

قال : « يا غلام أخرج إليه عمامته » ، فأخرج إليَّ عمامتي بعينها ، قلت :

(١) الإرشاد ٢ : ٢٨٩ — ٢٩١ . وراجع : دلائل الإمامة : ٢٠٥ / ٣٦٦ . وإعلام الوري : ٣٤٧ . وكشف الغمة ٣ : ١٤٩ .

(٢) الظاهر أنه : القاسم بن الحسن البنظي ، إذ لا وجود للقاسم بن الحسن في كتب الرجال .

ياين رسول الله! كيف صارت إليك؟

قال : « تصدقت على الأعرابي ، فشكر الله لك ، وردّ عمامتك ، وان الله لا يضيع أجر المحسنين » (١).

ونقل الإربلي عن القاسم بن عبدالرحمن — وكان زيدياً — قال : خرجت إلى بغداد فبينما أنا بها إذ رأيت الناس يتعاودون ويتشرفون ويقفون قلت : ما هذا ؟ فقالوا : ابن الرضا ، ابن الرضا.

فقلت : والله لأنظرنّ إليه ، فطلع على بعل — أو بغلة — فقلت : لعن الله أصحاب الإمامة حيث يقولون إن الله افترض طاعة هذا.

فعدل إلي وقال : « يا قاسم بن عبدالرحمن ﴿ أَبَشْرًا مِّنَّا وَاحِدًا تَبِعُهُ إِنْآ إِذآ لَقِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ﴾ » (٢).

فقلت في نفسي : ساحر والله.

فعدل إلي فقال : « ﴿ أَلْقِي الذِّكْرَ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌّ ﴾ » (٣).

قال : فانصرفت وقلت بالإمامة ، وشهدت أنه حجة الله على خلقه واعتقدت (٤).

دوره في التربية الأخلاقية والاجتماعية :

إن دور الإمام عليه السلام في المجتمع هو نفس دور الأنبياء والرسل عليهم السلام ، يتمثل

(١) كشف الغمة ٣ : ١٥٩ — ١٦٠.

(٢) سورة القمر : ٥٤ / ٢٤.

(٣) سورة القمر : ٥٤ / ٢٥.

(٤) كشف الغمة ٣ : ١٥٠.

في بناء وصياغة الإنسان النموذج ؛ لأن النبي أو الإمام هو شاهد منتخب من قبل عالم الغيب ، ويتحمل في عالم الشهادة مسؤولية تأسيس أمة صالحة من الداخل ، بعد أن يغرس في أعماقها كل المعاني والمثل والقيم الفاضلة ، ثم قيادتها وفق الأوامر الإلهية ، للوصول إلى المجتمع التوحيدي المتكامل.

ومن خلال استقراء منهج الأنبياء والرسول في قيادة البشرية وهدايتها عبر سلسلتهم الطويلة الممتدة منذ بدء الخليقة المتمثلة بالإنسان الأول ، والذي كان نبياً أيضاً ، وحتى الرسالة الخاتمة المتمثلة بأشرف الأنبياء والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، وهو خاتمهم ، نجد أن هذا المنهج يعتبر الإنسان محور حركته...

الإنسان لا كعقل مجرد ، بل الإنسان صاحب العقل والروح والأحاسيس والمشاعر.. الإنسان صاحب القلب والعواطف..

وعليه فمشروع الأنبياء عليهم السلام وأوصيائهم — وخاتمهم الأئمة الاثني عشر عليهم السلام — في صياغة الإنسان وتربيته وصنعه ، يتم من خلال التعامل مع تلك المقومات الإنسانية التي ذكرنا بشكل عاطفي وعملي ، وليس كالفلاسفة الذين يتعاملون ويتجادبون مع العقول المجردة.

بعد هذه المقدمة الموجزة نستعرض بعض المرويات عن إمامنا جواد الأئمة عليهم السلام والتي تكشف لنا كيفية توعيته لأصحابه وشيعته وعموم الأمة وارشادهم إلى السلوك الإيماني القويم ومن ذلك ؛ الخير الذي أورده ابن شعبة في تحف العقول حيث نقل أن أبا هاشم الجعفري قال للإمام أبي جعفر عليه السلام في يوم تزوج أم الفضل ابنة المأمون : (يا مولاي لقد عظمت علينا بركة هذا اليوم.

فقال عليّ عليه السلام : « يا أبا هاشم ! عظمت بركات الله علينا فيه ».

قلت : نعم يا مولاي ، فما أقول في اليوم .

فقال عليّ عليه السلام : « تقول فيه خيراً فإنه يصيبك ».

قلت : يا مولاي أفعل هذا ولا أخالفه .

قال عليّ عليه السلام : « إذا ترشد ولا ترى إلّا خيراً » (١).

ومن ذلك أيضاً الخبر المروي في تهذيب شيخ الطائفة عليه السلام بسنده عن أبي ثمامة قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : إني أريد أن ألزم مكة أو المدينة ، وعليّ دين ، فما تقول ؟

فقال عليّ عليه السلام : « إرجع إلى مؤدي دينك وأنظر أن تلقى الله عزّ وجلّ وليس عليك دين ، إن المؤمن لا يخون » (٢).

وفي الكافي أورد عن ابن مهران ، قال : كتب أبو جعفر الثاني عليه السلام إلى رجل : « ذكرت مصيبتك بعلي ابنك ، وذكرت أنه كان أحبّ ولدك إليك ، وكذلك الله عزّ وجلّ إنّما يأخذ من الولد وغيره أذكى ما عند أهله ؛ ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة . فأعظم الله أجرك ، وأحسن عزاك ، وربط على قلبك ، إنّه قدير ، وعجل الله عليك بالخلف ، وأرجو أن يكون الله قد فعل إن شاء الله تعالى » (٣).

ونقل المجلسي في بحاره بسند رفعه إلى بكر بن صالح قال : (كتب صهر

(١) تحف العقول : ٣٣٩ طبعة النجف ١٣٨٠ هـ .

(٢) تهذيب الأحكام ٦ : ١٨٤ / ٣٨٢ .

(٣) الفروع من الكافي ٣ : ٢٠٥ . وراجع أيضاً : ٢١٨ .

١١٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام
لي إلى أبي جعفر الثاني عليه السلام أن أبي ناصب خبيث الرأي ، وقد لقيت منه شدة
وجهداً ، فأريك — جعلت فداك — في الدعاء لي ، وما ترى جعلت فداك ؟
أفترى أن أكاشفه أم أداريه ؟

فكتب : « قد فهمت كتابك وما ذكرت من أمر أبيك ، ولست أدع الدعاء لك
إن شاء الله ، والمداراة خير لك من المكاشفة ، ومع العسر يسر ، فاصبر إن
العاقبة للمتقين ثبتك الله على ولاية من توليت ، نحن وأنتم في ودیعة الله الذي
لا يضيع ودائعه .»

قال بكر : فعطف الله بقلب أبيه حتى صار لا يخالفه في شيء (١).

وحدث الشيخ الصدوق عن أبيه قوله : (حدثني سعد بن عبد الله ، عن
الهيثم بن أبي مسروق النهدي ، عن اسماعيل بن سهل ، قال : كتبت إلى أبي
جعفر الثاني عليه السلام علمني شيئاً إذا أنا قلته كنت معكم في الدنيا والآخرة .
قال : فكتب بخطه أعرفه : « أكثر من تلاوة ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ ﴾ ورطب شفتيك
بالاستغفار » (٢).

روائع من نور كلمه

أئمة أهل البيت عليهم السلام هم أزمنة الحق ، وأعلام الدين ، وألسنة الصدق !
إن نطقوا صدقوا ، وإن صمتوا لم يُسبقوا . فهم عيش العلم ، وموت الجهل .

(١) بحار الأنوار ٥٠ : ٥٥ / ٣٠ .

(٢) ثواب الأعمال : ١٦٥ باب ثواب الاستغفار .

يُخبركم حلمهم عن علمهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، وصمتهم عن حِكْمِ منطقتهم ، لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه. إن سكتوا كان سكوتهم ذكراً ، وإن نظروا كان نظرهم عيرة ، وإن نطقوا كان منطقتهم الحكمة. فكلامهم : لا يُملّ ، وحديثهم لا تمجّه الآذان ، وتستأنس به النفوس ، وهو إلى القلب أسرع منه إلى السمع وإن كان يمر عبر صيوانه ؛ وذلك لأنّ لسان حالهم أسبق من لسان مقالهم. وإنّ ما يخرج من القلب لا شك أنه يدخل مفترشاً صحراء القلب ، ولا يبقى عالقاً في شفير المسامع.

فكما أن كلامهم عليه السلام ، وكلّ كلامهم نور.. ونطقهم حكمة.. فإنّ إمامنا الجواد عليه السلام — وهو أحد أهل البيت النبوي الطاهر — له أيضاً كلمات حكيمة ، ومواعظ نورانية ، وآداب إلهية.

وقد آثرنا ونحن نقترّب من خاتمة هذه الدراسة ، نقل قبسات من أنوار حكمه عليه السلام والتي هي في مضامينها مناهج عمل ، وبرامج توعية وهداية للسالكين طريق الحق والصلاح.

فمما قاله عليه السلام : « لا تعادِ أحداً حتى تعرف الذي بينه وبين الله تعالى ، فإن كان محسناً فإنه لا يسلمه إليك ، وإن كان مسيئاً فإن علمك به يكفيك ، فلا تعاده .»

وقال عليه السلام أيضاً : « الثقة بالله تعالى ثمن لكلّ غالٍ ، وسلّم إلى كلّ عالٍ .»

وقال عليه السلام : « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة .»

وقال عليه السلام : « كيف يضيع من الله كافله؟! وكيف ينجو من الله طالبه؟! ومن انقطع إلى غير الله وكّله الله — تعالى — إليه ، ومن عمل على غير علم أفسد أكثر

١١٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام
« مما يصلح »^(١).

وقال عليه السلام : « استصلاح الأخيار يكرامهم ، والأشرار بتأديبهم ، والمودّة قرابة مستفادة ».

وقال عليه السلام : « القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتعاب الجوارح بالأعمال ».

وقال عليه السلام : « من أصغى إلى ناطق فقد عبده ، فإن كان الناطق يؤدي عن الله عزّ وجلّ فقد عبد الله ، وإن كان الناطق يؤدي عن الشيطان فقد عبد الشيطان »^(٢).

وقال عليه السلام : « لو كانت السموات والأرض رتقاً على عبد ثم اتقى الله تعالى لجعل منها مخرجاً ».

وقال عليه السلام : « لا تكن ولياً لله في العلانية ، وعدواً له في السرّ ».

وقال عليه السلام : « من استغنى بالله افتقر الناس إليه ، ومن اتقى الله أحبه الناس وإن كرهوا ».

وقال عليه السلام : « لن يستكمل العبد حقيقة الإيمان حتى يؤثر دينه على شهوته ، ولن يهلك حتى يؤثر هواه وشهوته على دينه ».

وقال عليه السلام : « عزّ المؤمن غناه عن الناس ».

وقال عليه السلام : « من أطاع هواه أعطى عدوّه مناه ».

(١) التذكرة الحمدونية / ابن حمدون ١ : ١١٣ / رقم ٢٢٨.

(٢) الفروع من الكافي ٦ : ٤٣٤ / ٢٤.

وقال عليّ : « من هجر المداراة قارنه المكروه ، ومن لم يعرف الموارد ، أعيته المصادر »^(١).

وقال عليّ : « راكب الشهوات لا تُستقال له عشرة ».

وقال عليّ : « ما عظمت نعمة الله على عبد إلا عظمت عليه مؤونة الناس ، فمن لم يحتمل تلك المؤونة فقد عرّض النعمة للزوال ».

وقال عليّ : « من كثر همّه سقم جسده ».

وقال عليّ : « من لم يرض من أخيه بحسن النية ، لم يرض بالعطية ».

وقال عليّ : « أهل المعروف إلى اصطناعه أحوج من أهل الحاجة إليه ؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره ، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإتّما يبدأ فيه بنفسه ، فلا يطلبنّ شكر ما صنع إلى نفسه من غيره ».

وقال عليّ : « من أخطأ وجوه المطالب خذلته وجوه الحيل ».

وقال عليّ : « من استحسن قبيحاً كان شريكاً فيه ».

وقال عليّ : « موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل ، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر ».

وقال عليّ : « ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله تعالى : كثرة الاستغفار ؛ ولين الجانب ؛ وكثرة الصدقة. وثلاث من كنّ فيه لم يندم : ترك العجلة ، والمشورة ؛ والتوكّل على الله عند العزم ».

وقال عليّ : « المؤمن يحتاج إلى ثلاث خصال : توفيق من الله ؛ وواعظ من

نفسه ، وقبول ممن ينصحه .»

وقال عليه السلام : « التوبة على أربع دعائم : ندم بالقلب ؛ واستغفار باللسان ؛ وعمل بالجوارح ؛ وعزم أن لا يعود .»

وقال عليه السلام : « أربع من كنّ فيه استكمل الإيمان : من أعطى الله ؛ ومنع في الله ؛ وأحب لله ؛ وأبغض فيه .»

وقال عليه السلام : « الجمال في اللسان ، والكمال في العقل .»

وقال عليه السلام : « العفاف زينة الفقر ، والشكر زينة العنى ، والصبر زينة البلاء ، والتواضع زينة الحسب ، والفصاحة زينة الكلام ، والعدل زينة الإيمان ، والسكينة زينة العبادة ، والحفظ زينة الرواية ، وخفض الجناح زينة العلم ، وحسن الأدب زينة العقل ، وبسط الوجه زينة الحلم ، والإيثار زينة الزهد ، وبذل المجهود زينة النفس ، وكثرة البكاء زينة الخوف ، والتقلل زينة القناعة ، وترك المن زينة المعروف ، والخشوع زينة الصلاة ، وترك ما لا يعنى زينة الورع .»

وقال عليه السلام : « يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم .»

وقال عليه السلام : « إظهار الشيء قبل أن يستحكم مفسدة له .»

وقال عليه السلام : وقد سُئل عن الحزم : « هو أن تنظر فرصتك وتعاجل ما أمكنك »^(١).

وقال لبعض الثقات عنده ، وقد أكثر من تقيضه : « أقلل من ذلك ، فإنّ

(١) التذكرة الحمدونية ١ : ٣٨٣ / رقم ١٠٠٥.

الفصل الثالث : العطاء الفكري للإمام عليه السلام ١٢١
كثرة الملق فهم على الطنّة ، وإذا حللت من أخيك في الثقة فاعدل عن الملق
إلى حسن النية ^(١) .

وقال عليه السلام : « الحسد ماحق للحسنات ، والزهو جالب للمقت ، والعُجب
صادن عن طلب العلم داعٍ إلى التخمّط في الجهل ، والبخل أدم الأخلاق ،
والطمع سجية سيئة » ^(٢) .

ونقل ابن حمدون — أيضاً — في تذكّره عن ربيع الأبرار ، قوله عليه السلام : « إياك
والحسد فإنه يبين فيك ولا يبين في عدوك » ^(٣) .

وقال عليه السلام : « عليكم بطلب العلم ، فإن طلبه فريضة ، والبحث عنه نافلة ، وهو
صلة بين الإخوان ، ودليل على المروءة ، وتحفة في المجالس ، وصاحب في
السفر ، وأنس في الغربة » ^(٤) .

(١) المصدر السابق ٤ : ٣٦٣ / رقم ٩٢٧ .

(٢) المصدر السابق ٢ : ١٨٢ / رقم ٤٢٥ .

(٣) المصدر السابق ٢ : ١٨٣ / رقم ٤٢٧ .

(٤) راجع في مصادر هذه الأقوال : تحف العقول : ٣٣٩ — ٣٤٠ . وكشف الغمة ٣ : ١٣٧ — ١٤٢ .
والفصول المهمة : ٢٦٩ وقد أخذها عن كتاب « معالم العترة النبوية » لعبد العزيز بن الأحضر
الجنابدي . وجمار الأنوار ٧٨ : ٣٥٨ — ٣٦٥ .

الفصل الرابع

شهادته عليه السلام وما قيل فيه

استدعاء المعتصم :

برحيل المأمون في ١٣ رجب سنة « ٢١٨ هـ » ببيع لأخيه أبي إسحاق المعتصم محمد بن هارون في شعبان من نفس ذلك العام. ويبدو أن الأشهر الأخيرة من تلك السنة كانت حافلة بحدث البيعة للخليفة الجديد ، حيث إنه لم يكن يومها في بغداد عاصمة الخلافة ، إذ كان خرج مع جيش المأمون لحرب الروم وكان قائداً لأحد فصائل الجيش.

ولما رجع إلى بغداد في رمضان شغلته الأشهر الثلاثة الأخيرة في ترتيب القواد والوزراء وعمّال الولايات ، وبعض الثورات والتحركات المضادة. وما أن استتب له أمر الملك وانقادت البلاد له شرقاً وغرباً ، حتى أخذ يتناهى إلى سمعه بروز نجم الإمام الجواد عليه السلام ، واستقطابه لجماهير الأمة ، وأخذ به بزم المبادرة شيئاً فشيئاً. وتتسارع التقارير إلى الحاكم الجديد بتحريك الإمام أبي جعفر عليه السلام وسط الأمة الإسلامية.

عليه ، يقرر المعتصم العباسي وبمشورة مستشاريه ووزرائه ، ومنهم ابن أبي دؤاد الإيادي ، قاضي القضاة المعروف حاله الشخصي ، المبغض لأهل البيت النبوي عليه السلام الذي كان يسيطر على المعتصم وقراراته وسياسته ، يقرر

المعتصم بكتاب يعثه إلى واليه على المدينة محمد بن عبد الملك الزيات ^(١) في عام « ٩١٢ هـ » بحمل الإمام أبي جعفر الجواد عليه السلام وزوجته أم الفضل بكل إكرام وإجلال وعلى أحسن مركب إلى بغداد.

لم يكن بد من قبل الإمام عليه السلام من الاستجابة لهذا الاستدعاء ، الذي يُشم منه الإجماع والإكراه ، وقد أحسَّ الإمام عليه السلام بأن رحلته هذه هي الأخيرة التي لا عودة بعدها ؛ لذلك فقد حَلَفَ ابنه أبا الحسن الثالث في المدينة بعد أن اصطحبه معه إلى مكة لأداء موسم الحج ، وأوصى له بوصاياه وسلّمه موارِيث الإمامة ، وأشهد أصحابه بأنه إمامهم من بعده.. ^(٢) وتستمر الاستعدادات لترحيل الإمام إلى بغداد ، ويستمهلهم الإمام عليه السلام حين أداء الموسم ، وفعلاً يؤدي الإمام الجواد عليه السلام الموسم ، ويترك مكة فور أداء المناسك معرجاً على مدينة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليخلف فيها ابنه الوصي الوريث ، ولكن يبدو أنه عليه السلام خرج من المدينة متجهاً إلى بغداد ولم يزر جده المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وكأنه أراد بهذه العملية التعبير عن احتجاجه على هذا الاستدعاء ، وأن خروجه من مدينة جده إنما هو مكره عليه.

ويواصل الإمام عليه السلام رحلته إلى المصير المحتوم وقد أخبر أحد أصحابه بأنه غير عائد من رحلته هذه مرة أخرى ^(٣). كما روى محمد بن القاسم ، عن أبيه ، وروى غيره أيضاً ، قال : لما خرج — الإمام الجواد عليه السلام — من المدينة في

(١) راجع : مناقب آل أبي طالب / ابن شهر آشوب ٤ : ٣٨٤.

(٢) راجع : إثبات الوصية / المسعودي : ١٩٢. وعيون المعجزات : ١٣١. وعنه في بحار الأنوار ٥٠ : ١٦ وأصول الكافي ١ : ٣٢٣ / ١.

(٣) أصول الكافي ١ : ٣٢٣ / ١ باب الإشارة والنص على أبي الحسن الثالث عليه السلام.

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٢٥
 المرة الأخيرة ، قال : « ما أطيبك يا طيبة ! فلست بعائد إليك » ^(١) ، وُعيد هذا
 فقد أخبر الإمام ﷺ أصحابه في السنة التي توفي فيها بأنّه راحل عنهم هذا
 العام. فعن محمد بن الفرّج الرخحي ، قال : (كتب إليّ أبو جعفر ﷺ :
 « احمّلوا إليّ الخمس فإنّي لست آخذه منكم سوى عامي هذا » . فقبض في
 تلك السنة) ^(٢) .

وأخيراً ينتهي به المسير إلى بغداد عاصمة الدولة العباسية ، مقرّه ومثواه
 الأخير الأبدي ، ويدخلها لليلتين بقيتا من المحرم من سنة « ٢٢٠ هـ » ^(٣) . وما
 أن وصل إليها وحطّ فيها رحاله حتّى أخذ المعتصم يدبّر ويعمل الحيلة في
 قتل الإمام ﷺ بشكل سرّي ؛ ولذلك فقد شكّل مثلاً لتدبير عملية الاغتيال
 بكلّ هدوء..

مثلث الاغتيال :

على الرغم من تعدد الروايات في كيفية شهادة الإمام أبي جعفر
 الجواد ﷺ ، فإنّ أغلبها يجمع على أن الإمام اغتيل مسموماً — ولو أن البعض
 توقف في أن يشهد بذلك ؛ لعدم ثبوت خبر لديه ^(٤) — وأنّ مثلث الاغتيال قد
 تمثّل في زوجته أم الفضل زينب بنت المأمون ، وهي المباشرة الأولى التي
 قدّمت للإمام عنباً مسموماً ، ثم في أخيها جعفر ، يدبّرهم ويساعدهم على
 هذا الأمر المعتصم بن هارون.

(١) الثاقب في المناقب / ابن حمزة الطوسي : ٥١٦ .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٩ .

(٣) الإرشاد ٢ : ٢٩٥ . وروضة الواعظين ١ : ٢٤٣ .

(٤) راجع الإرشاد ٢ : ٢٩٥ ، والسبب في ذلك أن الشيخ المفيد لا يعمل ولا يأخذ إلّا بالأخبار المتواترة.

فقد ذكر ذلك غير واحد من المؤرخين ومنهم المؤرخ الشهير المسعودي فقال : (فلما انصرف أبو جعفر إلى العراق لم يزل المعتصم وجعفر بن المأمون يدبرون ويعملون الحيلة في قتله ، فقال جعفر لأخته أم الفضل - وكانت أمّه وأبيه - في ذلك ؛ لأنّه وقف على انحرافها عنه وغيرهما عليه لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ، مع شدة محبتها له ؛ ولأنّها لم ترزق منه ولد ، فأجابت أباها جعفرًا)^(١).

وقال غيره : (ثم إنّ المعتصم جعل يعمل الحيلة في قتل أبي جعفر عليه السلام وأشار إلى ابنة المأمون زوجته بأن تسمّه ؛ لأنّه وقف على انحرافها عن أبي جعفر عليه السلام وشدة غيرتها عليه ؛ لتفضيله أم أبي الحسن ابنه عليها ؛ ولأنّه لم يرزق منها ولد ، فأجابته إلى ذلك)^(٢).

أما ابن شهر آشوب فقد نقل في مناقبه أنّه : (لما بويع المعتصم جعل يتفقد أحواله ، فكتب إلى عبد الملك الزيات أن ينفذ إليه التقى وأم الفضل)^(٣).

وحان الرحيل :

كما تضاربت الآراء واختلفت في تعيين تاريخ مولده ، كذلك وقع الاختلاف في تعيين يوم شهادته عليه السلام . ولا يمكن الترجيح على نحو الجزم بأحد تلك الأقوال سواء في المولد أو الوفاة ، لكننا نستطيع أن نستقرّب أحد التواريخ المنقولة في المصادر من خلال الاستئناس ببعض القرائن أو

(١) إثبات الوصية : ١٩٢ . وراجع : دلائل الإمامة : ٣٩٥ .

(٢) عيون المعجزات : ١٣٢ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٤ .

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٢٧
الدلائل التي تساعد على ذلك.

وبناءً على كون عمر الإمام الجواد ﷺ عند وفاته قد ضبط في بعض المصادر بخمس وعشرين سنة ، وشهرين ، وثمانية عشر يوماً^(١) ، ولو رجّح تاريخ مولده في ١٧ رمضان سنة (١٩٥ هـ)^(٢) ، فإن وفاته ﷺ ستكون وفق ذلك البناء يوم الثلاثاء لخمس خلون من ذي الحجة سنة (٢٢٠ هـ)^(٣).

ومما يعضد هذا الرأي وجود رواية في الكافي في باب الإشارة والنصّ على أبي الحسن الثالث ﷺ : « شهد أحمد بن أبي خالد مولى أبي جعفر أن أبا جعفر محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ ، أشهده أنه أوصى إلى عليّ ابنه بنفسه وأخواته.. إلى أن ينتهي من بعض وصاياه ويؤرخ الوصية بقوله : وذلك يوم الأحد لثلاث ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومئتين .. »^(٤).

من هذا يتبين أن الإمام ﷺ حي يرزق في يوم الأحد ، حيث كتب وصيته وأشهد عليها ثلاثة من أصحابه المقربين إليه : خادمه ، ومولاه ، وأحد أبناء عمومته ، ثم كانت بعد ذلك شهادته ﷺ يوم الثلاثاء.

وقيل : يوم الثلاثاء لست ليالٍ خلون من ذي الحجة سنة عشرين ومائتين^(٥).

(١) أصول الكافي ١ : ٤٩٢ .

(٢) إعلام الوری ٢ : ٩١ .

(٣) إثبات الوصية : ١٩٢ .

(٤) أصول الكافي ١ : ٣٢٥ / ٣ .

(٥) تاريخ أهل البيت ﷺ : ٨٥ ، بتحقيق السيد محمد رضا الجليلي ، نشر مؤسسة آل البيت ﷺ

أما كيفية وفاته عليه السلام فإنه اختلف فيها أيضاً ، فمن قائل بشهادته مسموماً بعنب رازقي ، ومن قائل بمسموميته في منديل ، وهناك من قال إنه سُمَّ بشراب ، أو من قال إنَّ المعتصم أشار إلى أعوانه بدعوته إلى 'مأدبة فقُدِّم له طعام مسموم فأكل منه ، ومنهم من صرَّح بعدم ثبوت خبر موته بالسَّم ، وسكت البعض الآخر عن كيفية موته واكتفى بكلمة (قُبض) .

ولعلَّ أقدم نصٍّ توفَّرنا عليه الخبر الذي أورده العياشي المتوفَّى سنة « ٣٢٠ هـ » في تفسيره .

قال العياشي (... قال زرقان : إنَّ ابن أبي دؤاد قال : صرت إلى المعتصم بعد ثلاثة ، فقلت : إنَّ نصيحة أمير المؤمنين عليّ واجبة ، وأنا أكلمه بما أعلم أنني أدخل به النار .

قال : وما هو ؟

قلت : إذا جمع أمير المؤمنين في مجلسه فقهاء رعيته وعلماءهم لأمر واقع من أمور الدين ، فسألهم عن الحكم فيه فأخبروه بما عندهم من الحكم في ذلك ، وقد حضر المجلس أهل بيته وقواده ووزراؤه وكتّابه ، وقد تسامع الناس بذلك من وراء بابه ، ثم يترك أقاويلهم كلَّهم لقول رجل يقول شطر هذه الأمة بإمامته ، ويدعون أنه أولى منه بمقامه ، ثم يحكم بحكمه دون حكم الفقهاء !!

قال : فتغير لونه وانتبه لما نبّهته له ، وقال : جزاك الله عن نصيحتك خيراً ، قال : فأمر (المعتصم) يوم الرابع فلاناً من كتّاب وزرائه بأن يدعوهُ إلى منزله ،

الفصل الرابع : شهادته عليه السلام وما قيل فيه ١٢٩
فدعاه. فأبى أن يجيبه وقال : « قد علمت أني لا أحضر مجالسكم ». فقال : إني
إنما أدعوك إلى الطعام ، وأحب أن تطأ ثيابي وتدخل منزلي فأتبرك بذلك ،
فقد أحب فلان بن فلان (من وزراء الخليفة) لقاءك.

فصار إليه ، فلما أطعم منها أحسن السم ، فدعا بدابته ، فسأله ربّ المنزل
أن يُقيم ، قال : « خروجي من دارك خير لك ».

فلم يزل يومه ذلك وليله في خلفة حتى قبض عليه السلام (١).

أما الشيخ المفيد رحمته الله فقد نقل في إرشاده بآنه عليه السلام : (قبض بيغداد ، وكان
سبب وروده إليها إشخاص المعتصم له من المدينة ، فورد بغداد لليلتين
بقيتا من المحرم من سنة عشرين ومئتين ، وتوفي بها في ذي القعدة من هذه
السنة.

وقيل : إنّه مضى مسموماً ، ولم يثبت بذلك عندي خبر فأشهد به (٢).

في حين نجد أن المؤرخ علي بن الحسين المسعودي المتوفى سنة
« ٤٣٦ هـ » يقول : (وقيل : إن أم الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة
إلى المعتصم ستمته) (٣).

وفي موضع آخر ذكر أن مثلث الاغتيال (المعتصم — جعفر — أم الفضل)
كانوا قد تشاوروا وتعاونوا على قتل الإمام والتخلص منه بعد قدومه إلى
بغداد ، بل ما استدعي إلّا للغرض ذاته. فقال : (.. وجعلوا — المعتصم بن

(١) تفسير العياشي ١ : ٣٢٠ / ١٠٩ ، وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ٥ / ٧ .

والخلفة : ذهاب شهوة الطعام من المرض ، أو الإسهال والتقيؤ نتيجة التسمم.

(٢) الإرشاد ٢ : ٢٩٥ .

(٣) مروج الذهب ٤ : ٦٠ الطبعة الأولى ١٤١١ هـ ، تحقيق عبد الأمير علي مهنا.

١٣٠ الإمام محمد الجواد عليه السلام
 هارون وجعفر بن المأمون وأخته أم الفضل — سمّاً في شيء من عنب رازقي
 وكان يعجبه العنب الرازقي ، فلماً أكل منه ندمت وجعلت تبكي. فقال لها :
 « ما بكاؤك ؟ والله ليضربنك الله بفقر لا ينجبر ، وبلاء لا ينستر » ، فبليت بعلة في
 أغمض المواضع من جوارحها صارت ناسوراً ينتقض عليها في كل وقت.
 فأنفقت ماها وجميع ملكها على تلك العلة حتى احتاجت إلى رفسد الناس.
 وتردّى جعفر في بئر فأخرج ميتاً ، وكان سكراناً..

ولما حضرت الإمام عليه السلام الوفاة نصّ على أبي الحسن وأوصى إليه ، وكان
 قد سلّم المواريث والسلاح إليه بالمدينة (١).

وأضاف ابن شهرآشوب السروي المازندراني (ت / ٥٨٨ هـ) ، وأبو جعفر
 محمد بن جرير الطبري الإمامي (من أعلام القرن الخامس الهجري) ، « إنّ
 امرأته أم الفضل بنت المأمون سمّته في فرجه بمنديل ، فلماً أحس بذلك قال
 لها : « أبلاك الله بداء لا دواء له » ، فوَقعت الأكلة في فرجها ، وكانت تنصب
 للطبيب فينظرون إليها ويسرون — أو يشيرون — بالدواء عليها فلا ينفع ذلك
 حتى ماتت من علّتها (٢).

وقال ابن شهرآشوب قبل ذلك أن الإمام عليه السلام لما تجهّز (وخرج إلى بغداد
 فأكرمه — أي المعتصم — وعظّمه ، وأنفذ أشناس (٣) بالتحف إليه وإلى أم

(١) دلائل الإمامة : ٣٩٥. وعيون المعجزات : ١٣١ وعنه بحار الأنوار ٥٠ : ١٦ / ٢٦.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٩١. ودلائل الإمامة : ٣٩٥.

(٣) أشناس : من كبار قواد جيش المعتصم ، تركي الأصل. اشترك في فتح عمورية سنة « ٢٢٣ هـ ». عهد
 إليه المعتصم بناء مدينة سامراء لتكون ثكنة للجيش التركي الذي ضاقت به بغداد. تولى إمرة
 دمشق في عهد الواثق. مات سنة « ٢٣٠ هـ » ، وقيل سنة « ٢٥٢ هـ ».

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٣١
الفضل ، ثم أنفذ إليه شراب حُمّاض الأترُجّ^(١) تحت ختمه على يدي
أشناس ، وقال : إنّ أمير المؤمنين ذاقه قبل أحمد بن أبي دؤاد ، وسعد بن
الخصيب وجماعة من المعروفين ، ويأمرُك أن تشرب منها بماء الثلج ،
وصُنع في الحال. فقال — أي الإمام ﷺ — : « أشربها بالليل ». قال : إنّها تنفع
بارداً ، وقد ذاب الثلج ، وأصر على ذلك ، فشرّبها علماً بفعلهم^(٢).

وبعد ، فهذا إجمال لما ورد في شأن وفاته وكيفيتها ، والذي يبدو راجحاً
هو أن الإمام ﷺ قُضي عليه بالسم ، وأن المشاركين في عملية الاغتيال قد
عرفتهم ، وعرفت تديبرهم. مع العلم أن محاولات سبقت كانت تدبّر
لاغتيال الإمام ؛ لكنّه ﷺ كان يعلم بها ، وكان حذراً وقد أخذ بالاحتياط في
التعامل سواء مع زوجته أو مع أعوان السلطان في مأكله ومشربه. ولقد كان
متوقفاً هذا الأمر قبل وقت غير قليل ، فيوم دخل عليه محمد بن علي
الهاشمي صبيحة عرسه في بغداد كان يتوقع هذا أن يأتوا للإمام بماء مسموم
حين طلب ماءً للشرب.

كما أفلت ﷺ من محاولة استهدفت سمّه في طعام قدّم له ، فقد نقل أبو
جعفر المشهدي باسناده : (عن محمد بن القاسم ، عن أبيه ، وعن غير واحد
من أصحابنا أنّه قد سمع عمر بن الفرج أنّه قال : سمعتُ من أبي جعفر ﷺ
شيئاً لو رآه محمداً أخى لكفر .

فقلت : وما هو أصلحك الله ؟

(١) الأترُجّ أو الأترُجّج : ثمر من جنس الحمضيات ويقال له (الثرُنج) أيضاً والحُمّاض : ما في جوف
الأترُجّ من اللب.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٤.

قال : إني كنت معه يوماً بالمدينة إذ قرب الطعام ، فقال : « أمسكوا ».

فقلت : فذاك أبي ، قد جاءكم الغيب !

فقال : « عليّ بالخباز ». فجيء به ، فعاتبه وقال : « من أمرك أن تسمني في هذا الطعام ؟ ». فقال له : جعلت فداك (فلان) ، ثم أمر بالطعام فرفع وأتى بغيره (١).

وعلى أي حال فقد نجح مثلث الاغتيال في تدبيرهم الأخير ، وأطفأوا نور الإمام ، وحرموا أنفسهم والأمة من بركاته ، وما أطفأوا إلّا نوراً من أنوار النبوة ، لو كانوا رعوه حق رعايته لسقوا ماءً غدقاً ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكنهم :

عجبتُ لقوم أضلّوا السبيل ولم يبتغوا آتباع الهدى
فما عرفوا الحق حين استنار ولا أبصروا الفجر لما بدا

وسرعان ما يلتحق الإمام عليه السلام إلى بارئه فينال هناك كأسه الأوفى ، وهو لم يخسر الدنيا ؛ لأنّه لم يكن يملك منها شيئاً ، ولا رجا وأملاً يوماً من حطامها شيئاً ، لكنّ الأمة خسرت ابناً من أبناء الرسالة ، وعلماً من أعلام النبوة ، وطوداً شامخاً كان يفيض على هذا الوجود كلّ أسباب العلم والمعرفة ، والتقى والصلاح ، ولو قدره حقّ قدره ؛ لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهم ، ولو جدوا به خيراً كثيراً.

وروي أن ابنه علي الهادي عليه السلام قام في جهازه وغسله وتحنيطه وتكفينه كما أمره وأوصاه ، فغسله وحنّطه وأدرجه في أكفانه وصلّى عليه في جماعة

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٣٣
من شيعته ومواليه (١).

وجاء في الأخبار أن الواثق صلي عليه بحضور جماهير غفيرة من الناس ، ثم حمل جثمانه في موكب مهيب تشيعه عشرات الآلاف من الناس إلى مقابر قریش حيث مثوى جدّه الإمام الكاظم موسى بن جعفر ﷺ ، فأقبر إلى جواره في ملحودة أصبحت اليوم عمارة شاهجة تناطح السماء بما ذمها الذهبية ، وقبله يؤمها آلاف المسلمين يومياً للتبرك بأعتابها ، وطلب الحوائج من ساكنيها. ولطالما انقلب الملمون والمستغيثون إلى أهلهم فرحين بما وجدوا من إنجاز طلباتهم التي تعسر حلّ مشكلها ، بل وإن البعض منها كان في حكم المحال حلّ معضله.

الإشادة بشخصية الإمام ﷺ :

الإمام الجواد ﷺ ما رآه أحد إلّا أعجب به ودُهِش ، وما سمع به أحد إلّا أشاد به وأطراه ، فقد ملكت هيبة الإمام ومواهبه ونبوغه المبكر عقول وعواطف العلماء والمؤرخين ، فراحوا يسجلون إعظامهم وإكبارهم عبر كلمات المديح والإطراء عندما يصلون إلى ساحة قدس الإمام الجواد ﷺ ليكتبوا عن حياته الشريفة. وقد انتخبنا هذه المجموعة من الانطباعات لعدد من العلماء وكبار المؤرخين — من غير الإمامية غالباً — عن شخصية الإمام الجواد ﷺ ومواهبه الخلاقية ، وعبقريته المنقطعة النظير ، وما اتصف به من نزعات وأخلاق كانت تحكي خلق وصفات جده الرسول الأكرم ﷺ ، وآبائه الميامين الأطهار ، نردفها وفق تسلسل سني وفيات أصحابها ، وهي كما يلي :

(١) مجموعة وفيات الأئمة : ٣٤٢.

١ - ابن طلحة الشافعي (ت / ٦٥٢ هـ) ، قال في كتابه « مطالب السؤل في مناقب آل الرسول » عند تعرّضه لترجمة الإمام الجواد عليه السلام :

(وأما) مناقب أبي جعفر محمد الجواد .. فما اتسعت له حليات مجالها ، ولا امتدت له أوقات آجاله ، بل قضت عليه الأقدار الإلهية بقلّة بقاءه في الدنيا بحكمها وسجالها ، فقلّ في الدنيا مقامه ، وعجّل عليه فيها حمامه ، فلم تطل لياليه ، ولا امتدت أيامه ..

فإنّه قد تقدّم في آبائه عليه السلام أبو جعفر محمد الباقر بن علي ، فجاء هذا باسمه وكنيته واسم أبيه ، فُعرف بأبي جعفر الثاني. وإن كان صغير السن فهو كبير القدر ، رفيع الذكر ، ومناقبه عليه السلام كثيرة..^(١)

٢ - سبط ابن الجوزي (ت / ٦٥٤ هـ) ، قال في « تذكرة الخواص » :

محمد بن علي بن موسى^١ بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام .. وكان علي^١ منهجاً أبيض في العلم والتقوى والزهد والجلود. ولما مات أبوه قدم على المأمون فأكرمه وأعطاه ما كان يعطي أباه.. وكان يلقّب بالمرتضى^١ والقناع ، وكانت وفاته خامس ذي الحجة.. وقبره يُزار ، وكان له أولاد المشهور منهم علي الإمام^(٢).

٣ - علي بن عيسى^١ الإربلي (ت / ٦٩٣ هـ) ، قال في « كشف الغمة » :

الجواد عليه السلام في كلّ أحواله جواد ، وفيه يصدق قول اللغوي جواد من الجودة من أحواد ، فاق الناس بطهارة العنصر ، وزكاء الميلاد ، فما قاربه

(١) مطالب السؤل ٢ : ٧٤.

(٢) تذكرة الخواص : ٣٥٢.

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٣٥

أحد.. ومكانته الرفيعة تسمو على الكواكب ، ومنصبه يشرق على المناصب. له إلى المعالي سمو ، وإلى الشرف رواح وغدو ، وفي السيادة إغراق وعلو. تتأرجح المكارم من أعطافه ، ويقطر المجد من أطرافه. إذا اقتسمت غنائم المجد والمعالي والمفاخر كان له صفاياها ، وإذا امتطيت غوارب السؤدد كان له أعلاها وأسمأها. يباري الغيث جوداً وعطية ، ويجاري الليث نجدة وحمية. فمن له أب كأبيه أو جد كجدّه؟ فهو شريكهم في مجدهم وهم شركاؤه في مجده ، وكما ملأوا أيدي العفاة برفدهم ، ملأ أيديهم برفده (١).

٤ - أبو الفداء (ت / ٧٣٢ هـ) ، في تاريخه المسمّى « المختصر في أخبار البشر » أو « تأريخ أبي الفداء » :

محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وهو أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية.. ومحمد الجواد المذكور ، هو تاسع الأئمة الاثني عشر ، وقد تقدم ذكر أبيه علي الرضا (٢).

٥ - الحافظ الذهبي (ت / ٧٤٨ هـ) ، قال في « تاريخ الإسلام » :

محمد بن الرضا علي بن الكاظم موسى بن الصادق جعفر بن الباقر محمد بن زين العابدين علي بن الشهيد الحسين بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، أبو جعفر الهاشمي الحسيني.

(١) كشف الغمة ٣ : ١٦٢.

(٢) تأريخ أبي الفداء ١ : ٣٤٣.

١٣٦ الإمام محمد الجواد عليه السلام

كان يلقَّب بالجواد ، وبالقانع ، وبالمرتضى^١. كان من سروات آل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .. توفي ببغداد في آخر سنة عشرين شاباً طرياً.. وكان أحد الموصوفين بالسخاء ؛ ولذلك لُقِّب بالجواد.. رحمه الله ورضي عنه ^(١).

٦ — ابن تيميَّة الحنبلي (ت / ٧٥٨ هـ) ، قال في كتابه « منهاج السنَّة » مانصّه :

محمد بن علي الجواد ، كان من أعيان بني هاشم ، وهو معروف بالسخاء والسؤدد ، ولهذا سُمِّي (الجواد) . ومات وهو شاب ابن خمس وعشرين سنة ^(٢).

٧ — اليافعي (ت / ٧٦٨ هـ) ، قال في كتابه « مرآة الجنان » :

أبو جعفر محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، أحد الاثني عشر إماماً الذين يدَّعي الرافضة فيهم العصمة . وكان المأمون قد نوّه بذكره ..

وكان الجواد يروي مسنداً عن آبائه إلى علي بن أبي طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين . وكان يقول : « من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة » ^(٣).

٨ — الغزوي (ت / ١١٦٧ هـ) ، ذكر ترجمة مقتضبة للإمام الجواد عليه السلام في كتابه

« ديوان الإسلام » ، فقال :

الجواد : محمد بن علي بن موسى^١ ، السيد الشريف أبو جعفر الهاشمي

(١) تاريخ الإسلام ١٥ : ٣٨٥ رقم ٣٧٢ وفيات سنة (٢١١ — ٢٢٠ هـ) .

(٢) منهاج السنَّة ٢ : ١٢٧ .

(٣) مرآة الجنان ٢ : ٨٠ .

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٣٧
الحسيني ، أحد الأئمة الاثني عشر عند الإمامية (١).

٩ - الزركلي (ت / ١٣٩٦ هـ) ، قال في « الأعلام » :

محمد بن علي الرضا بن موسى الكاظم الطالبي الهاشمي القرشي ، أبو جعفر الملقب بالجواد (١٩٥ - ٢٢٠ هـ / ٨١١ - ٨٣٥ م) : تاسع الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان رفيع القدر كأسلافه ، ذكياً ، طلق اللسان ، قوي البديهة (٢).

ما قيل في رثائه

وقبل اختتام هذه الدراسة نفتح صفحة الأدب ، ومن الأدب ننتخب ملف الشعر الذي هو أحد أقوى مفردات الأدب العربي شيوعاً ، وأبرز الوسائل الإعلامية وأكثرها فاعلية وانتشاراً يومذاك ، وحتى في عصرنا الحاضر الذي يمت فيه بريق الشعر ، وقل الاهتمام بالشعر والشعراء إلى حد كبير جداً ، حيث أصبح الشعر في البرامج والمهرجانات والاحتفالات مادة لملء الفراغ ، فإنه - مع ذلك - ما تزال له رنة وتأثير على السامعين يفوق أي وسيلة إعلامية أخرى!

وللأثر البالغ للشعر على مسامع الناس ، ولشدة تعاطفهم مع إيقاعاته الموسيقية ، وميل النفوس إليه ، فقد قال فيه رسول الله ﷺ : « إنَّ من الشعر

(١) ديوان الإسلام ٢ : ٦٧ رقم ٦٥١.

(٢) الأعلام ٦ : ٢٧١.

١٣٨ الإمام محمد الجواد عليه السلام لحِكْمًا ، وإنَّ من البيان لسحراً» ^(١) .

كما أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد اقتفوا أثر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فاستشهدوا الشعر ، وبعضهم أنشد. وقربوا الشعراء المبدئين المنافحين عن الحق والعدل وأهله ، وحثوهم على قول الشعر وأجزلوا لهم العطاء ووعدوهم الجنة. قال الإمام الصادق عليه السلام : « من قال فينا بيت شعر بنى الله له بيتاً في الجنة » ^(٢) .

وعليه فقد برز شعراء أفذاذ مثاليون نصرروا الحق ، ولم تأخذهم في الله لومة لائم ، ونافحوا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام ومدحوهم ورثوهم بأحسن ما يكون المدح والرثاء ، أمثال الشهيد دعبل الخزاعي ، والكميت الأسدي ، ومهيار ، وكوكبة لا تحصى' عدداً منذ الصدر الأول وإلى يومنا هذا. فملاؤا بمدحهم ورثائهم عشرات الدواوين ، وطبيعي أن يكون لإمامنا أبي جعفر الثاني عليه السلام نصيب من ذلك المديح والرثاء ، باعتباره حلقة من حلقات سلسلة الذهب. وقد وقفنا على الكثير من شعر المدح والرثاء بشأن الإمامين الهمامين الجواد وحده موسى بن جعفر عليهم السلام ، وما يختص بالجواد عليه السلام وحده. انتخبنا منه ما تتسع له دراستنا هذه ، فإلى المرثي والمديح التي راعينا في ترتيب أبحاثها التسلسل التاريخي حسب سني وفاة ناظميها :

١ — فأقدم نصّ وقفنا عليه في مديح الإمام الجواد عليه السلام وآبائه الطاهرين عليهم السلام هو للشاعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي المتوفى سنة « ٢٣٠ هـ » ، المعاصر للإمام الجواد عليه السلام . والقصيدة تتألف من « ٥٩ » بيتاً ، وهي

(١) بحار الأنوار ٧٩ : ٢٩٠ .

(٢) بحار الأنوار ٧٩ : ٢٩١ / ٩ ، نقلاً عن عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٥ / ١ .

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٣٩

ليست في ديوانه المطبوع ، عثر عليها الشيخ حسين علي آل سليمان
البحراني فأثبتها كاملة في رياضه ، ومطلعها :

حصحص الحق فاسهري أو فنامي عن ملامي ستحتوين ملامي
ثم يصل بعد عدة أبيات إلى غرضه فيقول :

رَبِّي اللهُ وَالْأَمِينَ نَبِيِّ
ثم سبطا محمد تاليهاه
والتقي الزكي جعفر الطيب
ثم موسى^١ ثم الرضا علم الفص
والمصطفى محمد بن علي
أبرزت منه رأفة الله بالناس
فرع صدق نبي^١ إلى الرتبة العليا
فهو ماضٍ على البديهة بالفيصل
عالم بالأمور غارت فلم
بالأمور التي تبيت تقاسيها
هوؤلاء الأولى أقام بهم
عصبة لست منكراً أنني
صفوة الله والوصي إمامي
وعليّ وباقر العلم حامي
مأوى المعتو والمعتمام
ل الذي طال سائر الأعلام
والمعرى^١ من كل سوء وذام
لتترك الظلام بدر التمام
وفرع النبي لا شك نامي
من رأي هـ برزي هممام
تنجم وهذا يكون بالإنجام
على حين سكرة النوم
حجته ذو الجلال والإكرام
يفنى قعودي بحبهم وقيامي^(١)

(١) رياض المدح والرثاء / الشيخ حسين البحراني : ٧٢٣ طبعة المكتبة الحيدرية — قم ١٤١٠ ، تحقيق
حسن عبد الأمير.

٢ - وفي المقتضب روى ابن عياش عن عبدالله بن محمد المسعودي ، قال : حدثني المغيرة بن محمد المهلي ، قال أنشدني عبدالله بن أيوب الخريبي ^(١) الشاعر ، وكان انقطاعه إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام ، ولما توفي عليه السلام وقف يؤبنه ويمتدح أبا جعفر محمداً ابنه بقصيدة طويلة يقول فيها :

يا ابن الذبيح ويا بن أعراق الثرى	طابت أرومته وطاب عروقا
يا بن الوصي وصي أفضل مرسل	أعني النبي الصادق المصدوقا
مألف في حرق القوابل مثله	أسد يلف مع الخريق خريقا
يا أيها الحبل المتين متى أعذ	يوماً بعقوته أحده وثيقا
أنا عائد بك في القيامة لائذ	أبغي لديك من النجاة طريقا
لا يسبقني في شفاعتكم غداً	أحد فلسفت بحبكم مسبقا
يا بن الثمانية الأئمة غربوا	وأبا الثلاثة شرّقوا تشريقا
إن المشارق والمغرب أنتم	جاء الكتاب بذلك تصديقا ^(٢)

(١) عبدالله بن أيوب ، أبو محمد الخريبي البصري : نسبة إلى الخريجة وهو موضع مشهور بالبصرة. أديب ، فاضل. لزم الإمام الرضا عليه السلام ، ولعله كان شاهره. ذكره ابن شهر آشوب في المعالم : ١٥٢ ضمن الشعراء المتقين. وترجم له سيد الأعيان في موسوعة الرجال أعيان الشيعة ٨ : ٤٦ .

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٤١

٣ - أما شاعر الولاء لأهل البيت ﷺ أبو محمد العوني^(١) ، فقد نظم في مولد الإمام الجواد ﷺ أبياتاً يقول فيها :

هذا الذي إذ ولدته أمّه عاجلها منه حسيباً فابتدر
حتى تفرغن النساء من حولها وقلن هذا هو أمر مبتكر
والولد الطيب قد جلّله عنهنّ مولاه بثوبٍ فاستتر^(٢)

٤ - ولأبي الفتح علي بن عيسى^١ الإربلي قصيدة في مدح الإمام الجواد ﷺ وبيان فضله أثبتها في كتابه كشف الغمة يقول فيها :

حماد حماد للمثنى حمادٍ على آلاء مولانا الجوادِ
إمام هدى له شرفٌ ومجدٌ علاهما على السبع الشداد
إمام هدى له شرفٌ ومجدٌ أقرّ به الموالي والمعادي
تصوب يدها بالجدوى فتُغني عن الأنواء في السنة الجمادِ
يئخل جود كفيّه إذا ما جرى في الجود منهلّ الغوادِ
فواضله وأنعمه غزار عهدن أبرّ من سحّ العهدادِ
فمن يرجو اللحاق به إذا ما أتى بطريق فخر أو تلادِ

(١) طلحة بن عبيدالله بن محمد بن أبي عون ، أبو محمد العوني الغساني : شاعر شهير ، أكثر نظمه في أهل البيت ﷺ . توفي حوالي سنة (٣٥٠ هـ) بمصر . ترجم له السيد الأمين في أعيانه ٧ : ٤٠١ . والعلامة الأميني في الغدير ٤ : ١٧٥ الطبعة المحققة .

(٢) مناقب آل أبي طالب ٤ : ٣٨٨ .

من القوم الذين أقرّ طوعاً
بهم عرف الوريّ سبيل المعالي
وهم من غير شك وخلف
أيام مولاي دعوة ذي ولاء
وقد قدمتمكم زاداً لسيري
فأنتم عدتي إن ناب دهر
بفضلهم الأصادق والأعدادي
وهم دلّوا الأنام سبيل الرشاد
إذا أنصفت سادات العباد
إليكم ينتمي وبكم ينادي
إلى الأخرى ونعم الزاد زادي
وأنتم إن عرى خطب عتادي ^(١)

٥ - وللشيخ الحر العاملي محمد بن الحسن بن علي المنتهي نسبه إلى
الشهيد الحر الرياحي عليه السلام والمتوفي سنة « ١١٠٤ هـ » ، أرجوزة طويلة في
تاريخ الإمام الجواد عليه السلام وبيان معجزاته وفضائله ، منها قوله :

نصوصه كثيرة تواترت
وما جرى له مع المأمون
إن كان طفلاً وبدا ما قد بدا
وامتحنوه وأجاب العلماء
معجزاته كذلك اشتهرت
من موثقات العلم واليقين
من فضله وعلمه لذي الهدى
جواب عالم درس وعُلماً ^(٢)

٦ - وثمة ميمية للسيد صالح النجفي القزويني المتوفى سنة « ١٣٠٦ هـ »
في تاريخ الإمام عليه السلام أبان فيها فضائله ومعجزاته ، ومطلعها :

سل الدار عن ساكنها أين يّموا
فهل أنجدوا يوم استقلوا واتّموا

(١) كشف الغمة ٣ : ١٦٤ .

(٢) نزهة الجليس ومنية الأنيس ٢ : ١١١ .

ومنها قوله في رثائه ﷺ :

فيا لقصير العمر طال لموته
على الدين والدنيا البكا والتأم
بفقدك قد أكلت شرعة أحمد
فشرعته الغراء بعدك أيّم
عفا بعدك الإسلام حزناً وأطفئت
مصاييح دين الله فالكون مظلّم
فيالك مفقوداً ذوت بهجة الهدى
له وهوت من هالة المجد أنجم
يميناً فما لله إلّاك حجة
يعاقب فيه من يشاء ويرحم
وليس لآخذ الثأر إلّا محجّب
به كل ركن للظلال يهدّم^(١)

٧ - ونظم الشيخ جعفر الشريقي النجفي المتوفى سنة « ١٣٠٩ هـ » رائية
في مدح الإمامين الكاظمين بابي الحوائج بمناسبة إتمام عمارة الصحن
ومرقدهما الشريف عام « ١٣٠١ هـ » يقول فيها :

جواد يميز السحب جود يمينه
على أن فيض البحر راحته اليسرى
إمام يمدّ الشمس نوراً فإن تغب
كسا بسنا أنواره الأنجم الزهرا
فحق إذا أزهرت في صحن داره
ودرن على ما حول مرقده دورا
ومذ زين الأفلاك أحسن زينة
خضعن له لا بل سجدن له شكرا
ومن يك موصولاً بأحمد في العلى
تهيب غير الذكر في نعته الذكر
مدينة قدس قدس الله سرّها
وشرفها حتى على عرشه قدرا

لقد حُشرت فيها الملائك والملا
 جميعاً ولما تدرك البعث والحشرا
 أحاطت بموسى^١ والجواد فقل لمن
 بهم غير علم الله لم يُحط خُبرا
 أبوهم عليّ الظهر من بعد أحمد
 نبيّ الهدى^١ والأم فاطمة الزهرا^(١)

٨ — أما الشاعر المفلق عبد الباقي بن سليمان بن أحمد العمري
 الفاروقي الموصلّي المتوفّي سنة « ١٢٧٩ هـ / ١٨٦٢ م » فله في مدح
 الإمامين الجوادين هذه الأبيات :

حظرة الكاظمين منها المرايا
 قد حكت قلب صبّ أهل الطفوفِ
 قد أظّلت شمساً بغير كسوفِ
 وأقلّت بدرأً بغير خسوفِ
 وطوت (كاظماً) ولقّت (جواداً)
 فازدهت بالمطوي والملفوفِ
 شرّفت فيهما وما كل ظرفِ
 حاز تشريفه من المظروفِ
 وهي لما على السماء أنافت
 بما قلت يا سما الجحد نوفي
 لا تلمني على^١ وقوفي ببابِ
 تتمنى^١ الأملاك فيه وقوفي
 هو باب مجرّب ذو خواصِ
 كان منها إغاثة الملهوفِ
 ملجأ العاجزين كهف اليتامي^١
 مروّة المرملين مأوى الضيوفِ
 فليمني من شاء إني موالٍ
 رافل من ولائهم بشغوفِ^(٢)

(١) شعراء الغري ٢ : ٤٢ .

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٩ : ٨٣ .

الفصل الرابع : شهادته ﷺ وما قيل فيه ١٤٥

٩ - وللعلامة الأديب الشيخ محمدرضا المظفر المتوفى سنة « ١٣٨٣ هـ »

منظومة تائية في رثاء الإمام الجواد ﷺ وتاريخ حياته ، منها قوله :

بالإمام الجواد منكم تمسكت
حدث قلل الإمامة فانقنا
ابن سبع ويا بروحي قد قا
لا تخل ويك وهو في المهدي طفل
هو نور من قبل أن تتجلى
طاب في شهر طاعة الله مو
واصطفاه الإله للخلق قوا
يا أبا جعفر وما أنت إلّا البحر
كيف تقضي سماً غريباً وباسم
أنت أدري بما أتت فيه أم

وحسي من قدسه النفحات
دت لعلياء حكمه الحادثات
م إماماً تجلّى به الكربات
هذبته بدرها المرضعات
بسنا الحق هذه الكائنات
لوداً فنيطت بجمه الطاعات
مأ فقامت لفضله المعجزات
ر جوداً له الهدى مرساة
الله تجري ولا سمك الحادثات
الفضل لكن شاءت لك النازلات^(١)

١٠ - أما الشيخ جعفر النقدي المولود سنة « ١٣٠٣ هـ » والمتوفى سنة

« ١٣٥٨ هـ » فله قصيدة دالية في مديح الإمام الجواد ﷺ ورثائه ، انتخبنا منها

الآبيات التالية ومطلعها :

نفت عن مقلتي طيب الرقاد
أحاديث الصباية في سعاد

إلى أن يقول :

لکم غزلي ومدحي في إمامي
هو البرّ التقى حمى البرايا
إمام أوجب الباري ولاءه
إذا ما سُدَّتْ الأبواب فاقصد
تريّ باباً به الحاجات تُقضى
وكم ظهرت له من معجزاتٍ
ودسّ لقتله سُماً زعافاً
أبي الهادي محمد الجواد
وغيث المجتدي غوث المنادي
وطاعته على كل العباد
(جواد) بني الهدى باب المراد
ومنتجعاً خصيب المستراد
رآهنّ الحواضر والبوادي
زنيماً ليس يؤمن بالمعاد^(١)

المحتويات

٥	مقدمة المركز
٧	المقدمة

الفصل الأول

٣٥ - ١١	الجواد في ظل أبيه <small>عليه السلام</small>
١١	ظروف ما قبل الميلاد
١٣	بشرى المولد العظيم
١٨	نسبه الشريف
١٩	أمّه
٢٠	كنيته
٢٠	حليته
٢١	ألقابه الشريفة
٢١	أولاده
٢٣	النص على إمامته
٢٤	نصّ النبي <small>صلى الله عليه وآله</small>
٢٧	نصّ الإمام الكاظم <small>عليه السلام</small>
٢٩	نصّ الإمام الرضا <small>عليه السلام</small>
٣٠	شهادات أخرى
٣٢	العمر ومنصب الإمامة

الفصل الثاني

- الحالة السياسية في عصر الإمام عليه السلام ٣٧ — ٧٠
- الموقف السياسي بعد شهادة الإمام الرضا عليه السلام ٣٩
- القول بخلق القرآن ٤٢
- الإمام والسلطة ٤٣
- أحداث الزواج ومراسيم عقد القران ٥٤
- الثورات والانتفاضات في عهد الإمام عليه السلام ٦٤
- ١ — ثورة عبد الرحمن في اليمن ٦٦
- ٢ — انتفاضة القميين ٦٨
- ٣ — ثورة محمد بن القاسم العلوي ٦٨

الفصل الثالث

- العطاء الفكري للإمام عليه السلام ٧١ — ١٢١
- أصحاب الإمام والرواة عنه ٧٣
- دور الإمام عليه السلام في الحياة العلمية ٩٠
- دوره في الفقه وأحكام الشريعة ٩٢
- دوره في تفسير القرآن ٩٩
- دوره في ترسيخ العقائد الإسلامية ١٠٢
- الرد على الأحاديث الموضوعة ١٠٧
- توظيف المعجزة والكرامة في الهداية والإرشاد ١١٠
- دوره في التربية الأخلاقية والاجتماعية ١١٣
- روائع من نور كلمه ١١٦

الفصل الرابع

١٤٦ — ١٢٣	شهادته <small>عليه السلام</small> وما قيل فيه
١٢٣	استدعاء المعتصم
١٢٥	مثلث الاغتيال
١٢٦	وحان الرحيل
١٣٣	الإشادة بشخصية الإمام <small>عليه السلام</small>
١٣٧	ما قيل في رثائه